TAS_ 08

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

-جامعة أبي بكر القايد – تلمسان

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم اللغة والأدب العربي

2013
Fac LLTo 2/170

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

في

دور الشعر العربي في خدمة الدعوة الإسلامية
"حسان بن ثابت أنموذجا"

إعداد الطالب:

❖ عبسي كمال

تحت إشراف:

أ.د. شريفي عبد اللطيف

السنة الجامعية:

1434/1433هـ-2013/2012م

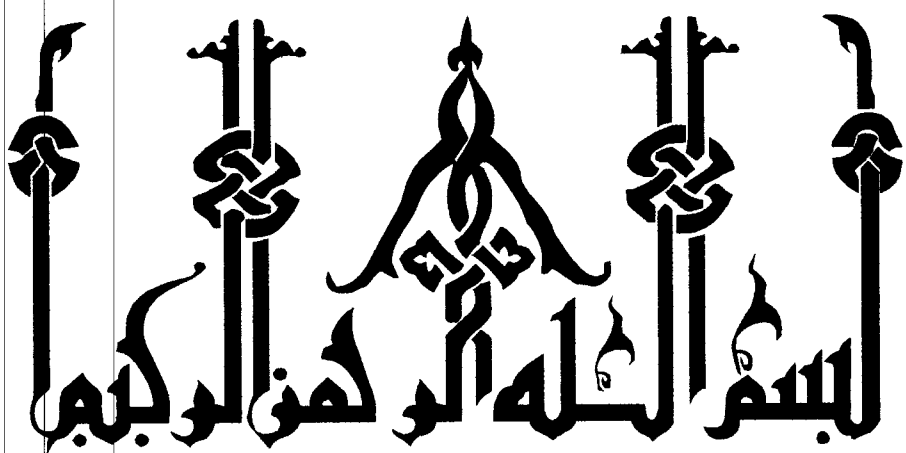
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

امتثالا لقوله تعالى﴿لَـئِنْ شَكَرْتُـمْ لَـأَزِيْـدَنّـكُمْ﴾

و انطلاقا من قول المصطفى –صلى الله عليه وسلم-**«من لم يشكر الناس لم يشكر الله عزّ وجل».**

أوجه الشكر الجزيل لكلّ الأساتذة الشرفاء، العاملين على خدمة اللغة العربية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، و أخص منهم بالذّكر الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور شريفي عبد اللطيف الذي أنار لي طريق البحث،والذي كان بمثابة النّبع الذي أستقي من ينبوع منهجيته العلمية الدقيقة، و من توجيهاته التربوية القيمة ممّا زادني ثقة وإيمانا بما أنا مقبل عليه، كما لا يفوتني أن أشكر وانحني إلى كلّ أساتذتي ومشايخي الكرام من بداية مشواري العلمي إلى أن وصلت إلى تخطيط هذه المذكرة المتواضعة.

كـمـال عـبـسي

إهداء

إلى والدي حبا ووفاءا ،حيث كابد الحياة و عاش حلوها و مرها بكل شرف و عزيمة من أجلي أنا و إخوتي أطال الله في عمره و عفاه.

إلى والدتي التي منحتني السعادة و الدفء و الحنان بدعواتها فهي تطلب الرضا و الرضوان من الله سبحانه و تعالى أطال الله في عمرها و عفاها.

إلى جميع عائلتي أهدي هذا العمل إخوتي و أخواتي ، وإلى كل الأصدقاء الذين أكن لهم كلّ المودّة و المحبّة، صديقي جمال خان و عبد المجيد وسليمان وصلاح الدين وخليفة و علي،وإلى الذين لم يذكرهم قلمي فهم حتما في ذاكرتي وقلبي.إلى الأسرة العلمية بثانوية الأحد عشر شهيدا، أساتذة وعمّالا.

كمال عبسي

مقدمة

يقول طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص13: " إذا نحن استعملنا ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كتاباتنا ، فلأن هذا الاستعمال تقليد عربي أصيل في صيغة المتكلم من الكلام، ثم لأنه هو الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي و التأليف الأكاديمي فضلا على أنه يفيد معنى المشاركة و القرب" ...و لا دلالة له إطلاقا على تعظيم الذات و لا على الإعجاب بالنفس"

تعتبر الدراسة الأدبية في محيط القصيدة الإسلامية من الأمور التي يسعى إليها الإنسان منذ القدم، و حتى في الوقت الحاضر، لأنه وجد فيها لذة و هذه اللذة تكمن في فكر بنّاء و أسلوب طيب و علم نافع. و موضوعنا هذا يتمثل في دور الشعر العربي في حدمة الدعوة الإسلامية، و قد ركزنا فيه الحديث عن الشعر في صدر الإسلام، ثم أتبعناه بدور الشعر في الفتوحات الإسلامية لكي نبين بأن الشعر لم يتوقف عن أداء مهمته في فترة صدر الإسلام بل واصل خدمة الإسلام و المسلمين .

فاللغة و السلوك الطيب و العلم النافع هي من الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع الذي ارتأينا أن يكون خادما للإسلام كما خدمه الشعر ر لو على هون، و ذلك كي نبين لمن اطلع على هذه المذكرة أن يشعر ليس بمجرد بكاء على الأطلال أو تغزل بالمرأة أو مجرد مدح و هجاء كما يظن البعض بل ما أكثرهم الذين يربطون الشعر بالكذب.

و اختيارنا لحسان بن ثابت نموذجا لموضوعنا يعود في أنه الشاعر الأكثر تأثرا بالإسلام، و لأنه اسم لامع في عالم الشعر كونه حظي بمصاحبة الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم--في دعوته و كونه أيضا تفرّد من بين شعراء التاريخ فكان الشاعر المبين لدعوة دينية شاملة كبرى، ذا أثر كبير في هدم معتقدات أعداء الدين ، و كون اسمه حلقة من تاريخ الإسلام لابد من تحقيقها و ذكرى من ذكريات الهجرة لابد من إحيائها.

و من خلال هذا الاختيار أردنا الإجابة عن الإشكالية التالية: ما هو الدور الذي لعبه الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية؟ و أهمية شعر حسّان في نصرة الإسلام و المسلمين ؟

و قد اعتمدنا على منهجين رأيناهما مناسبين لسرد أحداث هذا الموضوع و هما المنهج التاريخي و المنهج الوصفي، لأن موضوعنا استلزم ذكر ووصف ما جرى في بعض الأحداث كما ذكرتها ووصفتها كتب التاريخ.

و نحن بحكم تخصيص موضوعنا هذا الحديث عن دور الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية ؛ فإنه لم يكن لنا من مناص من التوقف على فترة ما قبل الإسلام، و ذلك من خلال مدخل ارتأينا من خلاله أن نتحدث عن أثر الإسلام في الشعر الجاهلي ، وذلك بمثابة افتتاح لموضوعنا و كي نبين أيضا أن دور الشعر في الحياة الإسلامية كانت تأكيدا للإيمان بالله و الدعوة إلى الأخوة بين الإنسانية

أما تقسيم البحث فقد كان إلى ثلاثة فصول ، بالنسبة إلى الفصل الأول فقد عنوناه بـــ: "موقف الإسلام من الشعر" و تناولنا فيه:

- موقف القرآن من الشعر بينا فيه أن موقف القرآن الكريم من الشعر و الشعراء موقف ثابت لا يتغير، فهو الموقف المؤيد له و ما إلاّ كان ذلك يتفق مع تعاليم الإسلام الهادفة إلى إصلاح و تأديب النفوس.
- موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر: بينا فيه أن موقف الإسلام من الشعر كان مؤيدا للشعر و أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان شديد الإدراك لأهمية الشعر و شجع الشعراء المؤيدين و حثهم على نظم القصائد.
- موقف الخلفاء الراشدون: و بينا فيه أن الخلفاء لم يتصدوا للشعر و الشعراء بل حَذَو حَذْو الرسول الكريم اللهم إلا الشعر الذي حارب القران أو تصدى للرسول صلى الله عليه وسلم في موقفه من الشعر.
- نظرة الشعراء إلى الإسلام: وضحنا فيه أن الشعراء في الجاهلية كان يغلب على شعرهم الفخر ، الحماسة، و العصبية لقبائلهم و لما أدركهم الإسلام طهر النفوس من تلك العصبية الجاهلية و جعل شعرهم يخدم الدعوة الإسلامية بالدرجة الأولى.
- ثم تطرقنا إلى مفهوم و خصائص شعر الدعوة المحمدية .

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه العناصر التالية.

- الشعر وسيلة إعلامية: وضحنا فيه أنّ الشعر له دوره المشهود في الدفاع عن العقائد و أخلاق الأمة و في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

- دور الشعر في التصدي لواقع الخرافات و الآفات و إبراز القيم الخلقية: توصلنا فيه إلى أن العادات بايجابياتها و سلبياتها انعكست على العرب من طبيعة إقليمهم، و الشعر قد أدى دوره في هذه العادات و أسهم في ترسيخ المعاني الأخلاقية ، حتى جاء الإسلام و اقر بالايجابي منها و نبذ السلبي.

- المعاني القرآنية في شعر صدر الإسلام: وضحنا في هذا العنوان أن الشعراء تناولوا ما جاء في القران الكريم من قصص الأنبياء و الرسل و رددوها في أشعارهم و استخلصوا منها العبرة و الحكمة، و كثرت في أشعارهم قصص الأنبياء نوح و إبراهيم و غيرها.

- دور الشعراء في التصدي للكفار و المشركين : وضحنا فيه أن الصورة التي رسمها الإسلام لجيش الكفار تحولت إلى صورة تعكس حربا تهديديه لقريش تنتظرها لإبادتها و تبرز ثقة المسلين بنصر الله و في ذلك دعوة إلى الإسلام تحمّلها الشعر في أقصى ظروفه و رفع من معنويات المسلمين و حمّسهم لمواجهة الكفار.

- دور الشعر في الفتوحات الإسلامية: ارتأينا أنْ نبين في هذا العنوان أنّ الشعر لم يتوقف، و إنما واصل أداء مهمته في الدفاع عن الإسلام والتعبير عن واقع حياة المسلمين آنذاك و عقيدتهم و حبب إليهم مواصلة الجهاد و الدفاع عن الإسلام و المسلمين.

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه حسّان شاعر الدعوة الإسلامية و حامل لواء الكلمة في معاركها و الذي تناولنا فيه العناصر التالية:

- حسّان قبل الإسلام أخذنا فيه نبذة عن حياة : مولده ونسبه، كنيته و قومه و قبيلته، بيت حسان و مكانته، شاعرية أسرته، ووضحنا فيه أن حسّان كان ذا ذوق و حس مرهف و قد أفاد من رحلته إلى الملوك و إقامته في قصورهم تصوير حياتهم في قالب شعري .

- حسان بين شعراء عصره: وضحنا في هذا العنوان أن حسّان عاش نصف عصره في الجاهلية و النصف الأخر في الإسلام و أنه كان من طليعة شعراء الخوارج و يغلب على شعره النزعة

الجاهلية، خاليا من روح الإسلام و انه عاش في بيت رياسة و شرف و بيئة شعر و هذه الحياة بما فيها قد أثّرت في حسان و أثّر فيها.

- أغراض شعره في الجاهلية: تطرقنا فيه إلى الهجاء و الفخر و المدح و الغزل و الرثاء و تبين من خلال ذلك أنّ شعر حسّان في الجاهلية من أجود الشعر.
- وصف الخمرة عند حسّان: بينا في هذا أن حسان كان مبدعا في وصف الخمرة و بيان أثرها في الأجسام و النفوس ذلك انه كان من صفوة عشاقها.
- حسان بعد إسلامه و أثر القرآن في شعره: تناولنا في هذا العنوان :

إسلامه: بينا فيه أن حسان رأى في الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم هيبة و أرفع شانا فلم يملك نفسه و اندفع إلى الرسول الكريم مبايعا إياه و قام بين يدي الرسول يعلن إيمانه بالله و رسوله.

- أغراضه الشعرية بعد إسلامه: بينا فيه رقة حسان بن ثابت في التعبير و المعاني شديدة التأثير بالقران الكريم و الحديث الشريف و مهما استقلت أبيات حسان بأفكار و موضوعات فان كل منها يعبر عن موضوع الدعوة دون سواها و نلاحظ أن أغراض حسان في الشعر بقيت نفسها بأسلوب مختلف .
- أثر القرآن في شعر حسان: وضحنا فيه أن حسان بن ثابت اتجه إلى الاقتباس من القران الكريم و الأخذ من معانيه، و أن حسان بلغ ما لم يبلغه احد من معاصريه.
- ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم: بينا في هذا العنوان انه كانت لحسان مكانة عند النبي الكريم حتى أنه بنى له منبرا في مسجده صلى الله عليه وسلم ينشد شعره عليه.
- منزلته: بينا في هذا أيضا أن حسان تبوأ مكانة رفيعة في الشعر و كان صاحب أخلاق رفيعة و رجل خلق و فضيلة و دين، اقتحم اسمه الممالك و زاحم فحول الشعراء و اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون شاعره الخاص و هذا مما جعله في مصاف الشعراء الكبار.

-أما الخاتمة فقد كانت شاملة ملمة لكل الموضوع، حيث خلصت إلى أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة

و مهما حاولنا الإلمام بجوانب موضوعنا فإننا عاجزون أمامه ذلك لتعدد الكتابات الأدبية و النقدية حول هذا الموضوع سواء عند القدماء أو المحدثين و هي سهلة عندهم نظرا لخبرتهم الجيدة في الكتابة و لكنها تصعب و تزداد صعوبة لدينا نحن أصحاب الرسائل الجامعية نتيجة قلة خبرتنا، و كذلك إلى أهمية الموضوع و حجمه.

مدخـــل

"أثر الإسلام في الشعر الجاهلي"

1. مكانة الشعر قبل الإسلام
2. أثر الإسلام في الشعر و موقفه منه

مكانة الشعر قبل الإسلام:

قامت الحياة العربية قبل الإسلام على نظام القبلية التي كانت تمثل الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد اقتضى هذا النظام القبلي من ينطق باسمه ويحميه، فكان الشاعر هو الذي يسجل مآثر قومه ويذيع مفاخر قومه وينشر محامدهم ويخوف أعداءهم ويخذل خصومهم.

قال ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل وهنأتها، وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمظاهر كما يصنعون في الأعراس، دليل على أنه حماية لأعراضهم وتخليدا لمآثرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج"[1]

الشعر قديم في فطرة العرب فقد تركزت كفاية المجتمع الجاهلي على صناعة القول فكثر الشعر عندهم،و إذا لم يبلغ كلّ عربي أن يكون شاعرا في الجاهلية فقد عاد،و الذي لا شك فيه أن نفوس العرب جميعا كانت نفوسا شاعرة تقول الشعر أو تتأثر به لأن الشعر كان ديوان الجاهليين ،و يمكن أن نقول أنّه:"سِجلهم النفيس الذي حفظ تراثهم و تاريخهم و أدبهم و أخلاقهم وأنه متحفهم الناطق الذي دوّنوا فيه أخبار أبطالهم ووقائع بطولاتهم فلولا الشعر العربي لما عرفت الآداب العربية،و لما اشتهرت القبائل و أخبارها،في محالفاتها و تناقضاتها و في تحاربها و تسالمها"[2]

وقد عبر الجاحظ(ت255ه) عن ذلك في قوله:"فكل امة تعتمد في استبقاء مآثرها و تحصين مناقبها على ضرب من الضروب،و شكل من الأشكال، و كانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بان تعتمد في دلك،الشعر الموزون، و الكلام المقفى، و كان دلك هو ديوانها"[3]

و يقول ابن سلام:" و كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم و منتهى حكمهم،، به يأخذون و إليه يصيرون"[4].

---

[1] سامي المكي العاني"الإسلام و الشعر" عالم المعرفة ،طبعة ،1996، الكويت، ص 7

[2] ابن قتيبة"الشعر و الشعراء" دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية، بيروت،1987،ص5

[3] الجاحظ:هو عمر بن بحر الكناني البصري المكنى بابي عثمان،لقب بالجدفي لكن اللقب الذي التصق به أكثر هو الجاحظ.

[4] سامي المكي العاني" المرجع نفسه"،ص8

و يؤكد ابن قتيبة مهمة الشعر عند العرب حين يقول: "و للعرب الشعر الذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها، و جعله لعلومها مستودعا، و لآدابها حافظا،و لأنسابها مقيدا، و لأخبارها ديوانا، و لا يبيد على مر الزمان، و حرسه بالوزن و القوافي و حسن النظم و جودة التحبير من التدليس و التغيير. و كان الشعراء في الجاهلية بمنزلة الحكام يقولون فيرضى قولهم و يحكمون فيمضي حكمهم، و صار ذلك فيهم سنة يقتدي بها و أثار يحتذى عليها ".[1]

فالشعر الجاهلي في نظر بعض الباحثين يتّسم بالبداوة حصرا، فهو على حساب تقديرهم شعر يصور طريقة عيش هؤلاء البدو و نظرتهم إلى الوجود شعرا طلعته الصحراء، يمجد الحروب و يتغنّى بمآثر القبيلة و أبطالها، شعر حماسة و فخرا ارتبطت مواضيعه بالإنسان و انتصاراته،حيث أن أي عمل أو تفكير له خالي من أية عاطفة دينية توجهه كما انه:"العمل المشجع لنصرة القبيلة و تحقيق طموحاتها في الفوز و التغلب على العدو".[2]

ممانتج عن دلك سيطرة القوي الضعيف و انتشار الغزو و القتل و السلب و النهب يوضح لنا دلك حسان بن ثابت في قوله:

لَنَا فِي كُلّ يَوْمٍ مِنْ مَعَــد قِتَــالٌ أو سَبَابٌ أو هِجَــاءُ

فَنَحكُمُ بالقَوافِي مَنْ هَجَانَا وَ نَضْرِبُ حَيثُ تَخْتَلطُ الدِّمَاءُ[3]

و من الحقائق الثابتة التي يؤكدها كثير من الباحثين القدماء العرب الجاهليين كانوا يحتفلون بشعرائهم، و يتصرفون في اللغة فيتناولون أعذب ألفاظها ثم يأتون مكة في موسم الحج فيعرضون أشعارهم على أندية قريش، فما يستحسنوه روي وكان فخرا للقائلين في القبائل كلها، إذ يحضرون الموسم جميعا لأن كل قبيلة كان لها صنم في الكعبة تأتي لزيارته، فأصبح العرب بذلك يتفاخرون بشعرائهم ونظرا للخطورة الكبيرة التي يمثلها الشاعر في الجاهلية والأهمية البالغة التي يحتلها بين قومه،

---

[1] المصدر السابق ص8

[2] شوقي رياض أحمد "شعر السيرة النبوية" دار المأمون لطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة1987، ص14.

[3] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري دار صادر بيروت، عام 1978، ص9.

والقبيلة تعلن عن فرحتها الكبرى فتقيم الاحتفالات العظيمة إذا نبغ فيها شاعر مما جعل الشاعر يبلغ أعلى درجات الهيبة والإجلال وكيف لا وهو لسانهم المدافع عنهم والمباهي بالقبيلة والمشيد بأمجادها ومآثرهم رافعا من شأنهم بين القبائل فالكل يبتغي رضاه ويثمن ثناءه، ويخشى غضبه ويتجنب هجاءه، كما كان الشعر في الجاهلية بمثابة حرفة يرتزق منها الشعراء بسب ما يتهاطل عليهم من جوائز وهدايا وهباة، فيفرطون في المدح إذا أعطوا وفي الهجاء والذم إذا منعوا، فيعظّمون الحقير ويرفعون الوضيع، ويحطّون من شأن العظيم.[1]

وتروى أخبار كثيرة عمّن رفعهم الشعر في الجاهلية وعمّن أزرى بمكانتهم، فممن رفعه الشعر بعد الخمول: المحلق، وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به، وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت: إن الأعشى قدم وهو رجل مفوّه، محدود في الشعر، ما مدح أحدا إلا رفعه ولا هجى أحدا إلا وضعه، وأنت رجل كما عملت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها فلو سبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة ونحرت له، لرجوت لك حسن العاقبة، فسبق إليه المحلق انزله ونحر له، ووجد المرأة قد خبزت خبزا وجاءت بطب لبن، فلما أكل الأعشى وأصحابه سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات، فقال الأعشى: "كفيت أمرهن، وأصبح في عكاظ ينشد قصيدته:

أَرَقتُ وما هذَا السُّهَادُ المُــوَرَقُ وما بِي مِنْ سَقَم وما بِي معْشَقُ

نَفْيُ الذَمِّ عَن آل المُحَلق جَــفْنهُ كَجَابِيَة الشَيْخِ العِرَاقي تَفْهَقُ

تَرَى القَوْمَ فيها بِشَار عَيْن وبَيْنَهُمْ مَعَ القَوْمِ وَلْدَان من النَسْلِ دَرْدَقُ

فلما أتم قصيدته إلا والناس يقبلون إلى المحلق يهنؤونه والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريا يخطبون بناته، لمكان شعر الأعشى.[2]

---

[1] قدور إبراهيم المهاجي " دراسات في الأدب العربي قبل الإسلام" ديوان المطبوعات الجامعية ط1 وهران 1991، ص80.

[2] سامي المكي العاني«الاسلام و الشعر»عالم المعرفة،طبعة 1996 الكويت ص10

و قد انتشر الشعر بين الناس فلا نكاد نجد بيتا من بيوت العرب إلا و فيه من ينظم الشعر أو ينشده، حتى قال ابن سلام، و الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم و قبائلهم في الجاهلية و الإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط، ثم قال:و لو قصدنا لذكر لم يقل من الشعر إلا الشذ اليسير لذكرنا أكثر الناس.

و يعد الشعر من أشرف الكلام عند العرب و أقدسه ، كما قال ابن خلدون: أعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفا عند العرب، و لذلك جعلوه ديوان علومهم و أخبارهم و شاهد ثوابهم و خطئهم،و أصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم و حكمهم، و كان رؤساء العرب منافسين فيه، و كانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، و عرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن و أهل البصر لتمييز حوله(مقدرته) حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام.

وثمة أخبار تدل على أن العرب كانوا يقدسون الشعر ويعتقدون أن هذا التقديس مستمد من أصله الديني ولذا كانوا ينشدونه على موتاهم.

وكانوا يتخذون فن الشعر وسيلة للتقرب إلى الله في موسم الحج فيلبون بأشعار معينة، وهم يطوفون حول الكعبة، وكان للشعر تأثير في نفوس الناس ومشاعرهم لما يستعملونه من كلام مؤثر ساحر، يترك أثرا خطيرا في نفس سامعه، وكانوا يسمون الشاعر العالم والحكيم حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال كعب الأحبار: يا كعب هل تجد للشعر ذكرا في التوراة؟ فقال كعب:" أجد في التوراة قوما من ولد إسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال لا تعلمهم إلا العرب".[1]

إلى أن جاء الإسلام هدى ورحمة للعالمين ومطهرا للنفوس من تلك العصبية الجاهلية فجمع العرب على كلمة سواء، ونزع الغشاوة من قلوبهم مما صرفهم ذلك عن الولوع بالشعر والتنافس فيه.

---

[1] المرجع السابق ص11-12.

أثر الإسلام في الشعر وموقفه منه:

كان أكثر شعراء الجاهلية من الأشراف والسادة والأمراء وأهل الفروسية والحروب وكان أكثر شعرهم في الحماسة والفخر بمآثرهم ، والتطاول بأنسابهم والعصبية لقبائلهم، والتباهي بأيامهم وغلبهم على أعدائهم، والى تزيين الخمر والهجاء والتغزل الماجن.

فكان ظهور الإسلام حدثا مدويا وصاعقا ضرب حياة العرب في صميم عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، وخرج بهم من سجنهم المادي والروحي، إلى فضاء الحياة الرحب المنطلق، فوقفوا مشدوهين وهم يصغون إلى صوت القرآن المتعالي يتهادى بين شعاب مكة وواحات يثرب مادحا بتعاليم الدين الجديد الذي ينادي بحفظ الأعراض والمساواة بين الناس ونبذ الجبروت والاستعلاء، لقد أسقط في أيدي هؤلاء العرب الذين لهم سدنة القول وأرباب الكلمة وموئل الشعر والفصاحة، حين لامست أسماعهم أجراس هذا الكلام الساحر العجيب الذي يختلف كل الاختلاف عمّا اعتاد الناس سماعه من الشعر والخطب، وسجع الكهان.

-" و بما أن الإسلام قد حارب منظومة القيم والأخلاق الجاهلية التي يعتبر الشعر حاضنها الأول لذلك رفض له أن يكون مزمار إبليس يشدو بالغواية ويمجد الفتون ويذكي نار العصبية ويلغ في الأعراض فكان هده تطهير النفوس من هذه الآثار وتدعيم أساس الوحدة الدينية ومحاربة تلك النزعات البدوية، فلم تبقى تلك الحاجة إلى الشعر والشعراء، وهلن أمره وأمرهم، فاشتغل أكثرهم بالحرب والجهاد في سبيل الله، وانصرفت القرائح الشاعرة إلى الخطابة، بعد أن صار لها الشأن في استنهاض الهمم وتوجيه الناس إلى الغزو والجهاد، وأصبحت سبيل الرسول والخلفاء في بث الدعوة يخاطبون بها العقول ويقرعون بها الأسماع".[1]

[1] محمد مهداوي"شعر الغزوات في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم" أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي،2002-2003م،ص18

الفصل الأول

موقف الإسلام من الشعر

1. موقف القرآن من الشعر
2. موقف الرّسول من الشعر
3. موقف الخلفاء الراشدين من الشعر
4. نظرة الشعراء إلى الإسلام
5. مفهوم شعر الدعوة المحمدية

1. موقف القرآن من الشعر:

بعث الله خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالة الإسلام، وأنزل عليه كتابه العزيز الحكيم و قرأنه الكريم ليكون برهان على صدق النبوة، فالدعوة كانت في بدايتها موجهة إلى قريش كما في قوله تعالى:﴿**و أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين**﴾[1] حيث خاطب قلوب العرب و عقولهم،و طوّق على أسماعهم بأعذب الكلمات التي تتأثر بها الأسماع و تنتقل منها القلوب في معاني محكمة و شرائع منظمة، فمن الطبيعي أن يدعوهم إلى هجر تلك الأوهام و الخرافات التي كانت مسيطرة على عقولهم، فأبهرهم آيات القران الكريم التي جاءت في أعلى درجات البلاغة و الفصاحة و البيان:"ولما كان الشعر عندهم هو ثمة الإبداع الأدبي بكل عناصره الأدبية و الأسلوبية و التصويرية، فما من سبيل تهتدي إليه عقولهم المغلفة بتلك الأوهام إلا أن يصفو محمدا بأنه شاعر و أن لم يألفوه من قبل عن شاعر أخر، و نزلت الآيات تتوالى كاشفة مزاعمهم الواهمة مدحظة لدعواتهم الباطلة."[2]

وإذا لجأنا إلى القران الكريم فنجد أنه قد ورد ذكر لفظ" الشاعر" في القرآن الكريم أربعة مرات،كما ذكر " الشعر" في أية واحدة، وذكر "الشعراء" في آية واحدة، عندئذ يصبح المجموع الكلي الآيات التي ذكر فيها الشعر ومدلولاته ست آيات، ففي الآيات الأربع الأولى التي ورد فيها ذكر لفظ الشاعر نجدها تشير إلى ما قاله المشركون في وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم – وتنفي عنه صفة الشعرية، وقد بين القرآن الكريم في آيات ثلاث ما وصفه المشركون بأنه شاعر وهي قوله سبحانه وتعالى:﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ* فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ**﴾.[3]

وقوله تعالى:﴿ **وَيَقُولُونَ أَئِنا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**﴾[4]

وقوله تعالى:﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونَ**﴾[5]

---

[1] الشعراء الآية 214

[2] شوقي رياض احمد"شعر السيرة النبوية"دار المأمون للطباعة و النشر،ط1،القاهرة 1987،ص14

[3] سورة الانبياء: الآية5.

[4] سورة الصافات الاية36.

[5] سورة الطور الآية30.

وعندما نبحث عن مواضع نفي صفة الشاعر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا نجده إلا في موضع واحد في ذكره تعالى:﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيْلًا مَا تُؤْمِنُونَ**﴾[1] وذكر أن عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه قال:" خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأثير القرآن، قال: فقلت هذا والله شاعر، كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيْلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيْلًا مَا تَذْكُرُوْنَ**﴾. قال فوقع الإسلام في قلب كل موقع[2].

وأما لفظ الشعر فقد ورد مرة واحدة وذلك في قوله تعالى:﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ* إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِيْنٌ**﴾.[3]

ومن خلال ما تقدم ذكره من الآيات نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين أمرين:

أحدهما: نفيه عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – صفة وصفها به المشركون وهي الشاعرية.

وثانيهما: نفي سبحانه وتعالى أن يكون القرآن الكريم شعرا، وهذا النفي جاء بعدما أطلق المشركون تهمهم على النبي الكريم، لما سمعوا الذكر الحكيم الذي يدعوهم إلى الإسلام والدخول فيه والإقلاع عما هم مقيمون فيه من ظلمات الجهل وضلالات الكفر، ولأن هذا الوحي كان ذا وقع غريب على نفوسهم فاحتاروا فيه ودفعتهم حيرتهم إلى صرفه إلى ما هو مألوف عندهم من الكلام المؤثر وهو الشعر، من أجل ذلك وصفوا الرسول- صلى اله عليه وسلم – بالشاعرية.

هذه الآيات السابقة لم تتضمن موقفا معاديا للشعر ولا للشعراء وإنما جاءت لتنفي صفة الشاعر عن الرسول – صلى الله عليه وسلم- وقد ذكرت لفظة "الشعراء" في آخر صورة الشعراء وهي الآيات التي أسهب المفسرون والباحثون كثيرا لتحليلها وبيان حال الشعراء الغاوين وذكر صفاتهم، وبيان حال

---

[1] سورة الحاقة الآية 40-41.

[2] ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (700- 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999م. ج8 ص218.

[3] سورة يس، الآية69.

الشعراء المؤمنين وذكر صفاتهم الحسنة التي بها يستحقون الثناء عليها كي يقتدي غيرهم بهم ويستنار بهديهم.

وهي قوله تعالى:﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمْ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَى أَنَّهُم فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ* إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوْا اللهَ كَثِيرا وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا* وَسَيَعْلَم الَّذِيْنَ ظُلِمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[1]

وفي ضوء هذه الآيات يمكن أن نلقي نظرة على آراء بعض المفسرين وأقوالهم فيما يتعلق بالشعراء ومنهم الغاوون ومنهم المؤمنون، ففي تفسير جامع البيان أوضح الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغاويين في هذا الموضع فقال بعضهم:" رواة الشعر" وقال بعضهم:" هم الشياطين"[2]

والرأي القائل بأن الغاوين هم رواة الشعر ذكر مرويا عن عبد الله بن العباس، إذ ذكر الطبري في جامع البيان عن ابن عباس، قوله:" كان رجلان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أحدهم من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وأنهما تهاجيا وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء[3]

كما أشار الإمام عبد الله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن إلى الحادثة نفسها في سبب نزول الآية[4].

وذكر ابن كثير:" قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني الكفار يتبعهم ظلال الإنس والجن...وقال عكرمة: كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس، ولهذا فئام من الناس، فأنزل الله تعالى قوله:﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمْ الْغَاوُونَ**﴾[5]

كما ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور السبب نفسه في نزول الآيات ﴿**والشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمْ الْغَاوُونَ**﴾[6]

---

[1] سورة الشعراء الآيات[224... 227].

[2] الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي" جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1،2000م، ج19ص416.

[3] المصدر نفسه ص416.

[4] القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج " الجامع لأحكام القرآن دار إحياء التراث العربي بيروت1966م، ج13ص153.

[5] ابن كثير المصدر نفسه، ص173.

[6] السيوطي عبد الرحمن ابن الكمال جلال الدين" الدر المنثور في التفسير بالمأثور" دار الفكر. بيروت،1993م، ج6،ص333.

وعندما نحاول عرض أقوال المفسرين لقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُونَ﴾[1]

نعرض ما أورده ابن كثير عن ابن عباس أن معنى الآية أنهم يخوضون في كل لغو، وقال الحسن البصري[2]:"قد والله رأينا أوديتهم التي يهيمون فيها مرة في شتمه فلان، ومرة في مدحه فلان.

وقال قتادة: "الشاعر يمدح قوما بباطل ويدم قوما بباطل"[3]

قال مجاهد في تفسير الآية:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُونَ ﴾ قال:" في كل فن يفتنون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات[4].

ويؤكد الشوكاني في فتح القدير تفسيرا لقوله سبحانه وتعالى:﴿ والشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ المعنى أن الشعراء يتبعهم أي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون أي الضالون عن الحق، ثم بين سبحانه وتعالى قبائح الشعراء، شعراء الباطل فقال:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُونَ ﴾ أي: ألم تر أنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون وفي شعب من شعاب الزور يتكلمون، فتارة يميزون الأعراض بالهجاء وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق، ويمدحون الباطل، ويزعمون في فعل المحرمات، ويدعون الناس إلى فعل المنكرات[5].

وللباحث يوسف العظم رأي في هذه الآية حيث يقول:" وبذلك لا يقف القرآن الكريم عن الحديث عن الشعراء، بل يتعرض للجمهور المعجب بالقول المشجع عليه، لأنه وسيلة من وسائل دعم الزور وتأييد الكذب والاستزادة من الباطل، والسبب في ذلك واضح، إذ أن الشاعر ما كان ليتمادى في باطله أو يوالي أكاذيبه لو لقي سدّا من جمهور واع وأمة سليمة الفكر، قويمة الخلق".قال سبحانه وتعالى:﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[6]

---

[1] سورة الشعراء الآية: 225.

[2] هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة، توفي سنة 110هـ.

[3] ابن كثير، المصدر نفسه، ص173.

[4] السيوطي، المصدر نفسه ص336.

[5] الشوكاني محمد بن علي " فتح القدير"، تعليق هشام البخاري، المكتبة العصرية بيروت،دت، ج4ص150.

[6] الشعراء الآية: 226.

و في تفسير هذه الآية ذكر ابن عباس أن:" أكثر قولهم يكذبون فيه"

و قد علق ابن كثير على ما قاله ابن عباس مؤيدا أن هذا الذي قاله ابن عباس -رضي الله عنه-هو الواقع في نفس الأمر فإن الشعراء يتبجحون بأقوال و أفعال لم تصدر عنهم.[1]

كذلك نقل الطبري عن ابن عباس معنى قوله تعالى:﴿ **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** ﴾ قال: "أكثر قولهم يكذبون، و عني بذلك شعراء المشركين".[2]

أما قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِين آمنوا و عمِلُوا الصَالِحاتِ و َ ذ َكَرُوا اللَّه َ كَثِيرا وانْتَصَرُوا مِنْ بعدِ ما ظُلِمُوا و سَيَعْلَمُ الَّذِين َ ظَلموا َ أي مُنْقَلبٍ ينَقلِبُونَ**﴾[3]

فإن الإمام الطبري ذكر أن هذا استثناء نزل "في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، كحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفها الله بها.[4]

وأما صاحب الكشاف فقد ذهب إلى أن قوله تعالى: ﴿**والشعراءُ يتبعهم الغاوون**﴾ معناه: "أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب والغزل ومدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار ... وقيل الغاوون: الراوون، وقيل: الشياطين، وقيل: هم شعراء قريش: عبد الله بن الزبعرى، وهبيرة بن أبي أميه بن أبي الصلت. قالوا: نحن نقول مثل قول محمد (وكانوا يهجونه، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم"[5].

وللباحث المعاصر محمد هدارة رأي مخالف لما أورده الزمخشري في تفسيره للغاوين بأنهم الرواة أو الشياطين أو شعراء قريش، فهو لا يرى أن الآية المباركة قد استهدفت بكلمة الغاوين طائفة من تلك التي ذكرها الزمخشري فقال:"ولعل الأقرب إلى التصور أن يكون هؤلاء الغواة هم الأعراب الذين يجتمعون

---

[1] ابن كثير المصدر السابق ص174

[2] الطبري المصدر السابق ص418

[3] الشعراء: الآية 227.

[4] الطبري "المصدر السابق"، ص418

[5] المصدر نفسه ص419

إلى شعراء قريش يستمعون أشعارهم وأهاجيهم في الرسول ورسالته "[1]

كما يرى الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحَاتِ و ذَكَرُوا اللَّه كَثِيرًا وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِين ظَلموا أي منقلبٍ ينقَلِبونَ**﴾ ما نصه: "استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرًا، قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة، وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ... وقيل: المراد بالمستثنين: عبد الله بن رواحه، وحسان بن ثابت والكعبان: كعب بن مالك، وكعب بن زهير؛ والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هُجاة قريش كما أشار الإمام فخر الدين الرازي إلى هذا الاستثناء أيضًا فيرى: "أن الله تعالى لما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة بيانًا لهذا الفرق استثنى عنهم الموصوفين بأمور أربعة:

أحدها: الإيمان وهو قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِين آمنوا**﴾

وثانيها: العمل الصالح وهو قوله: ﴿**وعمِلُوا الصالِحاتِ**﴾،

وثالثها: أن يكون شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق إلى الحق، وهو قوله: ﴿**وذكروا اللَّه كثِيرا**﴾. ورابعها: أن لا يذكروا هجو أحد إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم.[2]

إذن يمكن القول إن رأي الإمام فخر الدين الرازي جاء ليوضح أن الآية الكريمة تشتمل على حديث واضح عن الشعراء المسلمين وشعراء الدعوة المحمدية وانتصارهم للإسلام.

بالرغم من تفريق القرآن بين الشعر الإسلامي وما يناقضه إلا أننا نجد أن الشعراء المسلمين قد تحوجوا من قوة الشعر خيفة وقوعهم في الإثم، و عندما أنزل الله في الشعر ما أنزل،جاء حسان بن ثابت و كعب بن مالك، و عبد الله بن رواحه و غيرهم من الشعراء المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالو: يا

---

[1] هدارة محمد"الشعر في صدر الإسلامي و العصر الأموي"دار النهضة العربية،بيروت.1995م،ص77

[2] الزمخشري"الكشاف" تحقيق عبد الرزاق مهدي،دار إحياء لتراث العربي، بيروت،الطبعة الأولى.1997م،الجزء الثالث،ص387

رسول الله، إن الله أنزل في الشعر ما أنزل ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :« إن المؤمن يجتهد بسيفه و لسانه، و الذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل»[1]

يتضح من كل ذلك أن موقف القرآن من الشعر موقف ثابت لا يتغير،فهو الموقف المؤيد له،و لما لا إذا كان يتفق مع تعاليم الإسلام الهادفة إلى إصلاح الفرد و المجتمع،و تهذيب النفوس،و السمو بها إلى أعلى مستويات الرِفعة و المثالية،فكيف الله عز و جل أن يُحرم هذه الموهبة الإنسانية التي جعلها له،إذا كانت هادفة للخير و الإصلاح، يقول ابن رشيق في ذلك :"فلو أن الشعر حرام، ما اتخذ النبي شعراء يثيبهم على الشعر، و يأمرهم بعمله و يسمعه منهم " [2]

إذا كان هذا موقف القرآن من الشعر و الشعراء، فما هو موقف الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من الشعر؟ .

[1] شوقي رياض احمد"شعر السيرة النبوية"دار المأمون للطباعة و النشر،ط1،القاهرة 187،ص29

[2] المرجع نفسه ص30

2. موقف الرسول –صلى الله عليه وسلم–من الشعر

يعتبر رسولنا الكريم من أفصح العرب و أبلغهم "فكلامه يأتي بالمترلة التالية لكلام الله عز وجل و بذلك تضافرت لديه مقومات الذوق الرفيع الذي يميز بين جيد الكلام من رديئة و يستشعر به بميل القول من قبيحه"[1]

فقد انقسمت مواقفه اتجاه الشعر إلى ثلاثة أقسام:الكراهة، ، المحايدة، الإثابة و الترحيب.

–الكراهة: فقد جاءت قليلة و محدودة تمثلت في قوله صلى الله عليه وسلم عن امرئ القيس انّه"قائد الشعراء إلى النار لأنه أول من أحكم قوافيها"[2]

و في الشأن ذاته ذكر ابن قتيبة قول النبي عليه الصلاة و السلام عن امرئ القيس لبعض أهل اليمن""ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسي في الآخرة خامل فيها،يجيى يوم القيامة ومعه لواء الشعراء في النار".[3]

و ما روي عن أحد الصحابة،حيث يذكر أنّه بينما كان يسير مع الرسول صلى الله عليه وسلم و مجموعة من الصحابة، إذ أقبل عليهم شاعر ينشد، فقال صلى الله عليه وسلم"خذوا الشيطان" لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا".[4]

لقد حدد الرسول الكريم من خلال حديثه المذموم من الشعر و هو ما هجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المشركون كما هو معروف يلجئون إلى دلك كثيرا و قد أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دم بعضهم، منهم كعب بن الأشراف"فحينما بلغه ما كان من تشبيب كعب بن الأشراف بنساء المسلمين قال:من لي بابن الأشراف؟ فقال محمد بن سلمه أخو بني عبد المشهل:أنا لك يا رسول الله،أنا أقتله،فقال:فافعل إن قدرت إن على ذلك ثم إن عددا من المسلمين ائتمروا بكعب حتى قتلوه"[5]

---

[1] شوقي رياض احمد"شعر السيرة النبوية"دار المأمون للطباعة و النشر،ط1،القاهرة 1999م، ص 46

[2] بيوض إبراهيم بن عمر "في رحاب القران تفسير سورتي الفرقان و الشعراء"الجزء السابع،المطبعة العربية،غرداية1999م،ص483

[3] ابن قتيبة "الشعر و الشعراء"، ص55

[4] ابن كثير الدمشقي"تفسير القران "الجزء السابع،دار الكتب العلمية،بيروت،ص331

[5] بهجت عبد الغفور الحديثي"اثر الإسلام في شعر الغزل و تطوره في العصرين الإسلامي و الأموي مجلة آفاق للتراث و الثقافة،العدد34،"مصر 2001،ص28

- **أما الموقف المحايد:** تميز بأقوال كثيرة، من بينها ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها:"الشعر فيه كلام حسن و قبيح،فخذ الحسن و اترك القبيح".[1]

فالشعر القبيح يناقض رسالة الرسول و قوله صلى الله عليه وسلم:"لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين[2]

كان الرسول الكريم لا ينشد البيت كاملا بل الصدر أو العجز فقط، فلم يشهد إقامة الوزن، ومن الأمثلة على ذلك قوله صلى عليه وسلم:" أصدق كلمة قالها الشاعر أجيد الأكل شيء ما خلى الله باطل".[3] ثم يسكت عن عجز البيت.

كما أن السيدة عائشة رضي الله عنها تروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتمثل من الشعر بيت طرفة العبدي:

سَتُبدِي لَكَ الأيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاَ ويَأتيكَ مَنْ لَمْ تُزوِّدِ بالأَخبَارِ[4]

فيقول له أبو بكر الصديق: " ليس هكذا يارسول الله! فيجيبه: من لم تزود بالأخبار فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم: « إني لست بشاعر ولا ينبغي لي»

- **أما موقف الترحيب والإثابة:** فقد احتل الشعر مساحة واسعة لما امتازت به من دور مشهود في الدفاع عن الرسول الكريم، فكانت قصائد الشعراء هي المنبر الإعلامي الأول والمآثر على المجتمع حينها فقد حرس الرسول صلوات الله عليه على العناية بالشعر والشعراء والاستماع لهم، لتأكيد دورهم لنصرة الإسلام والمسلمين، ومن ذلك هذا الحديث النبوي الذي ورد في صحيح البخاري عن أبي سلمى بن عبد الرحمن بن عوف أنّه سمع حسّان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة نشدتك بالله، هل سمعت رسول الله صلى الله عبيه وسلم يقول:

---

[1] بهجت عبد الغفور الحديثي"المرجع السابق"، ص231

[2] عبد الرحمان إبراهيم خليل«دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية» الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،ص254

[3] محمد الطاهر درويش«حسان بن ثابت» دار المعارف، مصر،دار الطبعة،ص49

[4] المرجع نفسه،ص43

« يا حسان أجب عن - رسول الله صلى الله عليه وسلم- اللهم أيده بروح القدس، قال: أبو هريرة: نعم».[1]

و يروي كذالك أنه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ،اشتد هجاء الشعراء المشركين له مثل عبد الله الزبعري و ضرار بن الخطاب و أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و عمرو بن العاص،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار:«ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت :فقال له أنا لها يا رسول الله ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: والله لأسلّنك منهم كما تسلّ الشّعرة من العجين، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: اذهب إلى أبي بكر، فليحدّثك حديث القوم، وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك».[2]

وحين أنشد حسان بن ثابت قصيدته التي ردّ بها على أبي سفيان بن الحارث دعى له ولرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة مرتين وعندما قال:

هَجَوْتَ مُحَمّدًا فأَجَبْتُ عَنْهُ وعِنْدَ الله في ذَلك الجَزَاءُ[3]

وقال النبي الكريم:«جزاؤك عند الله الجنة يا حسّان».

أما عمله صلى الله عليه وسلم بالشعر نذكر ما روي عن سردة رضي الله عنها أنشدت:" عدي وتميم تبتغي من تحالف".[4]

فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنها عرضت بهما وجرى بينهم كلام في هذا المعنى.

---

[1] محمود محمد محمود حسن نصار«صحيح البخاري» دار الكتب العلمية،ص99

[2] المصدر نفسه،ص43

[3] محمد الطاهر درويش«حسان بن ثابت»دار المعارف، مصر،دار الطبعة،ص43

[4] عبد القاهر الجرجاني«دلائل الإعجاز»مطبعة الفجالة الجديدة،ط1 ،القاهرة1969،ص68

وما رواه الزبير بن بكار (ت 256هـ)حيث قال:" مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يَا أيّها الرّجُلُ المُحَوّلَ رِحلُه هلّا نَزَلت بآلِ عبدِ الدَّارِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:«بل آبا بكر هكذا قال الشاعر؟ قال: لا يا رسول الله، ولكنه قال: يا أيها الرجل المحول هلاّ سألت عن آل عبد المناف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسمعها».[1]

يتضح لنا من خلال هذه المواقف أن النبي كان يتذوق الحسن من الشعر، فهناك مواقف أخرى تدل على مدى ارتياحه للشعر واستحسانه حيث يروى أن النابغة بن جعدة انشد النبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت: **بَلَغْنَا السَّمَا مَجْدًا وُجُودًا وَسُؤْددًا وَإِنَّا لَنَرْجُوا فَوْقَ ذَلِك مَظْهَرًا**

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:« إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال إلى الجنة بك يا رسول الله. فقال: نعم ، إن شاء الله». فلما انشده:

ولاَ خَيرَ في حِلمٍ إذا لم تَكُن لَهُ بَوادِر تَحْمِي صَفْوَه أنْ يُكَدّر

ولا َفي جَهلٍ إذا لم يَكــنْ لَــهُ حَلِيم إذا مَا أوْرَدَ الأمرُ أصْدَر

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:«لا فضّ الله فاك ! ».[2]

فبني جعدا يزعمون أنّه كان إذا سقطت له سنّ أنبت الله مكانها سنّ أخرى، حيث يروي أنّه عاش ثلاثة مئة عام و لم تسقط له سنّ حتّى توفي.

فالرسول –صلى الله عليه وسلم-كان يرى الحكمة و الجمال في الشعر،فهو بمثابة السلاح البتار الفعال في محاربة أعداء الإسلام و نوع من أنواع الدفاع و الجهاد في سبيل الله،فيروى عن أحد الصحابة أن قوما

[1] اعمد القاهر الجرجاني "المصدر السابق" ،ص68

[2] أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي«جمهرة أشعار العرب»دار المكتبة الهلال،ط2،بيروت 1991،ص55

نالوا أبا بكر،فبلغ النبي ذلك، فصعد المنبر،فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:«أيها الناس ! ليس أحد منكم أمّنَّ عليَ في ذات يده و نفسه من أبي بكر، كلكم قل لي كذبت، و قال:{أبو بكر}صدقت، فلو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا،ثم التفت إلى حسان فقال:هات ما قلت فيَّ و في أبي بكر، فقال حسان: قلت يا رسول الله :

إذاَ تَذَكَرْتَ شَجْوا منْ أَخٍ ثِقَة فاذْكُرْ أخَاكَ أبا بكر بما فَعَلا

التَالِيْ للثَانِي المَحْمُود بشِيْمَتِــهِ وأَوَلُ النَّاسِ طُرا صَدَّقَ الرُسُلا

والثَانِي اثنين في الغَارِ المُنيْف و قَدْ طَافَ العَدُو به إذْ صَعِدا الجَبَلا

وَكَان حب رَسُول الله قَدْ عَلِمُوا مِن البَرِيَة لم لم يَعدُلْ به رَجُلا

خَيْرُ البَرِية أتْقــاَهَا وَ أرأفَهَا بَعْدَ النبي أوْفَاهَا بمَا حَمَلا[1]

كما أن هناك مواقف أخرى،نذكر على سبيل المثال ما روى عن كعب بن زهير انه هو و أخاه بجير خرجا إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حتى بلغا ابرق العزاف فقال كعب لبجير:

"ألق هذا الرجل و أنا مقيم ههنا فأنضر ماذا يقول، و قدم بجيرعلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فعرض عليهم الإسلام فأسلم، وبلغ ذلك كعبا فقال في ذلك شعرا، أي يؤنبه على فعلته وفي التنفير من دخول الغلام حيث قال:

ألاَ أبْلِغا عَني بُجَيْرا رسَالَــــة فَهل لَكَ في ما قُلتَ وَيْحَكَ هلْ لَكَا

سَقَاكَ بها المأمون كأسًا رَوِيَةً فانهلَكَ المأمُون منها وعَلَّكَا[2]

فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، فكتب إليه بجيرا يأمره أن يسلم ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول:{ أي بجير}: إنّ من شهد أن لا إله إلا الله أن محمدا رسول الله، قبل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسقط ما كان ذلك.[3]

---

[1] أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي"المصدر السابق"، ص53

[2] محمد علي الصباح«كعب بن زهير حياته و شعره» دار الكتب العلمية،ط1،1990،بيروت،ص45

[3] المرجع نفسه ص45

فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة:

بانَتْ سُعاد فقلبي اليَوْمَ مَتْبُول متيَمّ إثْرَها لم يَفُدْ مَغْلُول

ومَا سُعَاد غُدَاةَ البَيْنِ إذَا رحِلَتْ إلاَ أغَنّ غيض الطَّوْفِ مَكحُولُ

فَفَارقَتْ أسْبَابَ الهُدَى وأتّبَعَته عَلَى أيِّ شَيْء ويْب غَيْرَكَ دَلكَا[1]

حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:

إنَّ الرَّسُول لَنُورٌ يُسْتَضاءُ بـــــه مُهَنّدٌ مِنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ

في فِتْيَةٍ مِنْ قرَيش قَالَ قَائِلُهُـــم بِبَطنِ مَكّةَ لَمّا أسْلَمُوا زَوَلُوا

زَالُوا فَمَا زَالَ أنْكَاس ولا كَشْفٌ عِنْدَ اللّقَاءِ ولا مَيْل مَعَازِيلُ[2]

لعلنا بعد كل ذلك نفهم أنّ موقف النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة كعب بن زهير بالرغم من انطلاقها من رؤية غير إسلامية إلا أن الرسول رحب بها وبقائلها، بل خلع على صاحبها بردته.

ذلك يعني أن حصون المقاومة الأخيرة للشعر قد انهارت بعد مجيء كعب إلى الرسول مادحا، ورفعت راية الانتصار التي يمثلها القرآن الكريم، ولعل هذا مال كان في ذهن النبي صلى اله عليه وسلم وسوف نختتم هذه الأقوال التي نعتبرها مجرد أمثلة قليلة، تشبهها، ترادفها أفعال وأقوال أخرى كثيرة موجودة في بطون الكتب بهذه الواقعة الدالة على ما كان للشعر من دور عظيم في الدفاع عن الدعوة الإسلامية والرد على خصومها أو على الأقل مقارنة الحجّة بما هو أقوى منها، والعرب كما هو شائع ومعروف كانوا أهل الفصاحة والبلاغة يؤثر فيهم الكلام الجميل ويستميلهم المعنى الحسن واللفظ الرشيق، فبعد غزوة حنين أخذت وفود العرب تتدفق على المدينة وقد أسلم بعضهم وحسن إسلامهم وبعضهم نافق وبعضهم ارتد، من بين هذه الوفود وفد ابن تميم الذين حضروا وفيهم نفر من أشرافهم منهم الأقرع بن حابس والزبر قان بن بدر وعارد بن حاجب بن زرادة وعمرو بن الأهتم والحبحاب بن يزيد، دخلوا المسجد

[1] عبد القاهر الجرجاني"المصدر السابق"،ص70

[2] المرجع نفسه ص70

فوقفوا عند الحجرات فنادوا بصوت عال جاف:" أخرج إلينا يا محمد فقد جئنا لنفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا".[1]

وقد طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأخذ لخطيبهم وشاعرهم في القول، فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فتكلم خطيبهم عطارد بن الحاجب مفتخرا بقومه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن الشماس من الخروج أن يجيبه، فرد عليه بكلام يدور معظمه حول الإيمان والورع، ثم تقدم شاعرهم الزبرقان فقال فيهم شعرا مفتخرا بقومه:

نَحْنُ الحَرَام فَلاحي يُعَادِلُنَـــا هُنَا المُلوكَ وفيْنَا تَصّبُ البَيْعُ

تِلْكَ المَكَارِمُ حِرْنَاهَا مُقَارعـــةً إِذَا الكِرَامُ على أَمثَالِها اقْتَرَعُوا

لَحْمٌ قَدْ نشَدنَا مِن الأحيَاءِ كُلّهُم عِنْدَ النهَّابِ وفَضْلِ العِزْ يُتَّبعُ

وَ نَنْحَرُالكوم عِبطًا في أَرُومتِنَا للنَازِلينَ إِذْا ما اسْتَطعَمُوا شَبِعُوا[2]

عندئذ بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت و لم يكن بالمجلس فحضر وسمع قول الزبرقان، فارتجل على نفس الوزن والروي قصيدته المشهورة:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بيّنوا سنة للنـــاس تتبـــع

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوّهُم أَوْ حَاوَلُوا النّفْعَ في أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

لاَ يَرْفَعُ النَّاس مَا أَوْهَنَ أَكْفَهُم عِنْدَ الدِّفَاعِ ولا يُوهَنُ ما رَفَعُـــوا[3]

وعندما فرغ حسان اعترف الأقرع بن حابس بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفصح العرب، وحسان أشعر من شاعرهم، وصوت الإسلام أعلى من أصواتهم؟ ! و لم ينقض المجلس إلا بدخولهم في الإسلام وتصديقهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا غنما يدل على انتصار الدعوة الإسلامية ونزول الشعر عن مكانته السابقة عند العرب.

---

[1] الأب لويس شيخو اليسوعي«شعراء النصرانية بعد الإسلام»دار الشرق،الطبعة الثانية،بيروت،ص90

2المرجع نفسه ص91

[3] المرجع نفسه ص93

من هنا نستطيع أن نقول إن موقف الإسلام كان مؤيدا للشعر وأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان شديد الإدراك لأهمية الشعر كأداة رئيسية في الدّفاع عن الدعوة، فشجع الشعراء المؤيدين وحثهم على نظم القصائد.

3. موقف الخلفاء الراشدين من الشعر:

1- موقف أبي بكر رضي الله عنه:

عرف عن أبي بكر أنه كان رجً لا واسع المعرفة بأنساب العرب وأشعارهم وحكمهم، كثير الاستشهاد بأشعار الجاهلية والإسلام بل كان يضرب الأمثال خلال خطبه بأبيات من الشعر فقد رقى المنبر يومًا وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ثم قال : "والله يا معشر الأنصار، لو شئتم أن تقولوا ا:"إنا آويناكم وشاركناكم في أحوالنا ونصرناك م بأنفسنا لقلتم، وإن لكم من الفضل مالا نحصيه عددًا وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال الغنوي:

جَزَى الله عنا جَعفرا حينَ أَزْلَقَتْ بنا نَعْلنَا في الوَاطِئِينَ فَزَلَتْ

أَبَوْا أنْ يَملُوَنا ولَوْ أَنَّ أُمنَا لاَقِي الذي يَلْقَوْنَ منَا لَمَلَتْ

هُمْ أَسْكنُو في ظِلالِ بُيُوهِمْ ظلالِ بُيُوتِ وأَرَفَات وأَكُنتْ [1]

ومما قاله أبو بكر لبلال لما قُتل أمية بن خلف[2] الذي كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، ويلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هَنيئًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا فَقدْ أدْرَكتَ ثَأرَكَ يا بلاَلُ

فَلا نَكسًا وَجَدتَ ولا جَبَانَا غدَاة تَنوشُك الأسَلُ الطِّوَالُ

إذَا هَابَ الرِّجالُ ثبَتَ حتى تخلط أنت ما هاب الرِّجَالُ

عَلَى مُضِي الكُلُوم بمشرفِّي جَلا أطرَاف متَنيهِ الصِقَالُ[3]

ومن الأبيات التي كان رضي الله عنه ينشدها وهي للشاعر لبيد العامري يرثي بها أخاه أربد، وكان رضي الله عنه يرى أن هذين البيتين لا يليقان إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما قوله:

لعمري لئن كان المخبر صادقا لقد رزنت في سالف الدهر جعفر

---

[1] الطفيل الغنوي"الديوان"تحقيق حسان فلاح،دار صادر،بيروت،الطبعة الأولى،1997م،ص130

[2] هو أمية بن خاف بن وهب أدرك الإسلام و لم يسلم هو الذي عذب بلال الحبشي

[3] القيرواني"زهر الآداب و ثمر الألباب"دار الكتب العلمية،بيروت،1997م،ص44

فَتَى كَانَ أَمْ كُلّ شَيْء سَأَلْتُهُ فَيُعْطِي وأَمّا كُلُ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ[1]

فقال أبو بكر رضي الله عنه: "ذلك رسول الله لا أربد بن قيس" ومما يدل على أنّه كان مستمعًا للشعر ومتذوقًا له عندما قدم النابغة على بقية الشعراء، فقال عنه: "هو أحسنهم شعرًا وأعذبهم بحرًا وأبعدهم قعرًا" بل إنه رضي الله عنه كان متعلقًا بالشعر الموافق للمنهجية الإسلامية، ومما يبّن ذلك تمثله لبيتين من شعر عبيد بن الأبرص عند مرضه الذي توفي به –رضي الله عنه- ، حيث كان يقول:

كُلُ ذِي إِبِل مَوْرُوثُ وكُلّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبُ

وكُلّ ذِي غَيبَة يَؤُوبُ وغَائِبُ المَوْتِ لاَ يَؤُوبُ[2]

لقد رأينا أنه رضي الله عنه مستمعًا ومنشدًا للشعر المتفق مع المبادئ الإسلامية. بل إنّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان في بعض الأوقات يأمر أبا بكر إنشاد بعض ما يحفظ من الشعر، ولأجل ذلك قال القرطبي بشأن الشعر : "فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمعه وأبو بكر ينشده فهل للتقليد والإقتداء موضع أرفع من هذا"[3]

2- عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

الناظر إلى موقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء يجد أن الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان الأكثر احتكاكًا بالشعر والشعراء؛ فكثيرًا ما سمع الشعر وأعجب بما يتوافق مع المبادئ الإسلامية ، وقام بنقده وتمثل بأحسنه إضافة إلى ذلك أنه كان رضي الله عنه حريصًا على رواية الشعر بين العرب مبينًا أنه مقوم للأخلاق ومصوب للرأي ومساعد على معرفة أنساب العرب. وكان للقدماء اجتهاد واضح في بيان موقفه رضي الله عنه من الشعر والشعراء، ومن ذلك ما ذكره صاحب جمهرة أشعار العرب عن عمر بن الخطاب قال: "محاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنهى عن مساوئها"[4]

---

[1] ابن ربيعة لبيد"الديوان"دار المعرفة،بيروت،الطبعة الأولى،2004م،ص47

[2] الطبري،المصدر السابق،ص423

[3] القرطبي،المصدر السابق،ص147

[4] أبو زيد القرشي بن أبي الخطاب "المصدر السابق" ،ص159

كان رضي الله عنه على علم وقناعة بأن للشعر دورًا كبيرًا في تهذيب الإنسان، والعلو به عن كل رديء، لذا نجده يأمر عامله أبا موسى الأشعري : " مر من قِبَلك بتعلم الشعر فإنه يدلُ على مكارمِ الأخلاقِ، وصواب الرأي ومعرفة الأنسابِ"[1]

وقال رضي الله عنه : "يأيّها الناس، عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.[2]

واشتهر -رضي الله عنه - بأنه كان يتمثل بأشعار الشعراء الموافقة للمبادئ الإسلامية، حتى قال عنه الجاحظ : "كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[3] ومن الذين حظوا بإعجابه وتمثل بشعره زهير بن أبي سلمى، بل أطلق عليه شاعر الشعراء معلً لا ذلك بأنه: "كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حواشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[4]. ومن الأبيات التي كان كثيرًا ما يستشهد بها ويرددها قول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

وردد البيت مع جبًا به ومتعجبًا من عمل زهير بالحقوق وتفصيله بينها ويقول :"لا يخرج الحق من إحدى ثلاث: إما يمين أو محاكمة أو حجة"[5]

ومما روي عنه أنه طلب من ابن عباس أن ينشده من شعر زهير فأنشده ما قال في هرم بن سنان:

قَوْمٌ أَبُوهُم سِنَان حينَ تنسبهُمْ طَابُوا وطَابَ من الأَوْلادِ مَا وَلَدُوا

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوقَ الشَّمس من كَرَم قَوْمٌ بِأَوّلِهم أو مَجْدِهِم قَعَدُوا

إِنْسٌ إِذَا أَمَنُوا جنّ إذا غَضِبُوا مُرَزَّؤُونَ بِهَالِيلَ إذا جَهَدُوا

---

[1] القيرواني"العمدة في نقد الشعر" دار صادر،بيروت،الطبعة الأولى،2003م،ص20

[2] القرطبي،المصدر نفسه،ص110

[3] الجاحظ"البيان و التبيين"دار الجيل،بيروت،(دت)،الجزء الأول،ص241

[4] القيرواني،المصدر نفسه،ص60

[5] ابن قتيبة"عبد الله بن مسلم"عيون الأخبار"الدار المصرية،القاهرة،الجزء الأول،67

فنالت هذه الأبيات إعجابه رضي الله عنه الأمر الذي جعله يقول : "ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وروى عن عمر رضي الله عنه أنه لما انصرف من حجته التي لم يحج بعدها، وانتهى إلى ضجَنان[1] وقف فقال : الحمد لله لا إله إلا الله يعطي من يشاء ما يشاء لقد كنت بهذا الوادي أرعى إبلا للخطاب وكان فظا غليظا يتعبني إذا عملت ويضربني إذا قصرت وقد أصبحت وأمسيت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه ثم تمثل:

لاَ شَيءَ مِمَا تَرَى تَبقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الإلَهُ ويُودِي المالُ والوَلَدُ

لَمْ تَغْنِ هُرمُزَ يَومًا من خَزَائِنه والخُلدُ قد حَاوَلتْ عادَ فمَا خَلَدُوا

ولاَ سُلَيمان إذْ تَجْرِي الرِيَاحُ لَهُ والجِنُ والإنْس فيما بَينهاَ تَرِدُ[2]

وأورد المبرد أنه قيل للأوسية : وهي امرأة حكيمة من العرب، بحضرة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، أي منظر أحسن؟ فقالت : نساء بيض في حدائق خضر فأنشد لعدي بن زيد:

كَدُمَى العَاجِ في المَحَارِبِ أو كَالبِـ يضِ في الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِير[3]

من خلال ما سبق نرى أنه -رضي الله عنه - كان يتمثل أشعار العرب ذات المعاني الإسلامية الرفيعة والحكم الثاقبة الهادفة، التي تحثُّ على مكارم الأخلاق وصواب الرأي، وهذا يدل على علو ذوقه وحسن نقده،وسعة اطلاعه رضي الله عنه.

3- عثمان بن عفان رضي الله عنه:

لم يختلف الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه كثيرًا عن الخلفاء الذين سبقوه، فجميعهم سائرون على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا المجال، فلم يسمح بالشعر غير المتوافق مع التعاليم

---

[1] جبل بناحية مكة

[2] ابن قتيبة عبد الله" ابن مسلم "المصدر السابق" ،ص69

[3] المبرد"الكامل في اللغة و الأدب"دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1996م،ص65

الإسلامية البتة، ولكنه يختلف عن سابقيه بمقدار اهتمامه بالشعر، فمن المواقف التي تبين لنا ذلك أن عامله عبد الله بن أبي ربيعة كتب له : "إني قد اشتريت غلامًا حبشيًا يقول الشعر فكتب إليه عثمان لا حاجة لي إليه فارددده، فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إن شبع أن يشبب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم، فرده فاشتراه أحد بني الحسحاس"[1]

ومن المواقف التي توضح رفضه للشعر الفاحش غير المتلائم مع الدين الإسلامي، ما ذكر ابن قتيبة أن ضابئ بن الحارث[2]، استعار كلبًا من بعض بني جرول فطال مكثه عنده، فطلبوه فامتنع عليهم، فعرضوا له فأخذوه منه، فغضب ورمى أمهم بالكلب، فقال:

فَيَا رَاكِبًا إما عَرضتَ فَبَلِّغنَا ثمامَةَ عني والأُمُور تَدُورُ

فأُمكُم لا تَتْركُوهَا وكَلبكُم فإنَّ عُقُوقَ الوَالِدَاتِ كَبِيرُ

فَإنّكَ كَلْبٌ قدْ ضَريت بما تَرَى سَمِيع بما فَوقَ الفِرَاشِ خَبِيرُ[3]

وهو ما دعا عثمان رضي الله عنه أن يقول له : "ويلك ما سمعت أحدًا رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك، وإني لأراك لو كنت على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لأنزل فيك قرآنًا، ولو أحد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء لقطعت لسانك، فحبسه في السجن"[4]

4- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يعد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أشعر الخلفاء الراشدين ومن أكثرهم قولا للشعر وموهبة شعرية، فقد قال الشِّعر وتمثل به ونقده واستمع إليه وأعطى قائله، والحوادث المبينة ذلك كثيرة، ومما دلَّ على استماعه للشعر، إنشاد النابغة الجعدي له وهم في طريقهم إلى صفين، حيث يقول:

يَقُولُ قد عَلِمَ المسْرَان والعِرَاقُ أَنّ عَليًا فَحْلُهَا العِتَاقُ

أَبْيَض جَحْجَاحٌ لَه رِوَاقُ وأمَّهُ غَالِي بهَا الصَدَاقُ

---

[1] الأصفهاني"الأغاني" ص30

[2] هو ضابئ بن الحارث بن أرطاه بن شهاب و هو من المخضرمين

[3] ابن قتيبة"الشعر و الشعراء"ص205

[4] الأصفهاني الأغاني"ص35

أَكْرِمْ من شَدَّ به نِطَـــاقُ إِنَّ الأُولَى جَارُوكَ لاَ أَفَاقُوا[1]

ويبين إعجابه بالشعر ومجازاته لقائله، ما ذكر صاحب العمدة "أن أعرابيًا وقف عليه فقال : إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك، فقال له علي : خط حاجتك في الأرض فإني أرى الضر عليك فكتب الأعرابي على الأرض إني فقير فقال علي : يا قنبر؛ ادفع إليه حلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كَسَوتَنِي حُلةً تبْلَى مَحَاسنُهَا فَسَوفَ أَكْسُوكَ من حُسنِ الثَنَا حُللا

عَن الثَنَاءِ لَيحْيَا ذكر صَاحِبُه كالغَيْثِ يحيي نَدَاه السَهْلُ والجَبَـــلُ

لاَ تَزهَد الدّهرَ في عرف بَدَأت به فَكُـــلُّ عَبدٍ سَيُجزَى بالذي فَعَـــلا

فقال علي : يا قنبر، أعطه خمسين دينارًا، أما الحّلة فلمسألتك وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: أنزلوا الناس منازلهم"[2].

أما بشأن مقدرته –رضي الله عنه – النقدية فقد ذكر صاحب الأغاني حادثة يقول فيه : "كان علي –رضي الله عنه – يفطر الناس في شهر رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تكلم فأقل وأوجز فأبلغ فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس فقال علي رضي الله عنه لأبي الأسود الدؤلي قل يا أبا الأسود وكان يتعصب لأبي داود الإيادي ... فأقبل علي على الناس فقال : كل شعرائكم محسن ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلكم قد أصاب

الذي أراد، وأحسن فيه، وإن يكن أحد فضلهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة.

---

[1] الأصفهاني "المصدر السابق"،ص209

[2] القيرواني"العمدة"ص16

أما بالنسبة لشعره فقد روي عنه الكثير من الأشعار صحيحة النسبة إليه، وقد ذكر القلقشندى أن أبا بكر وعمر وعليًا يجيدون الشعر "وعلي أشعر الثلاثة"[1].

ومما يدلُّ أيضًا على قوله -رضي الله عنه - للشعر ما أورده ابن حجر في فتح الباري : إذ يقول : "هجا رهط من المشركين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال المهاجرون يا رسول الله ألا تأمر عليًا فيهجو هؤلاء القوم؟ فقال : إن القوم الذين نصروا بأيديهم أحقُّ أن ينْصروا بألسنتهم، فقالت الأنصار : أرادنا والله . فأرسلوا إلى حسان، فأقبل فقال : يا رسول الله والَّذي بعثك بالحقِّ ما أُحب أن لي بمُقولِي ما بين صنعاء وبصرى، فقال : أنت لها، فقال لا علم لي بقريشٍ، فقال لأبي بكر أخبره عنهم ونقِّب له في مثالبهم"[2].

لقد كانت شخصية الخليفة علي -رضي الله عنه - متمثلة بالقرآن الكريم وبمعانيه، وقد انعكس ذلك في كثير من قصائده، لذا نجده يقول :

ألاَ فاصْبِرْ عَلَى الحَدث الجَلِيـــل ودَاو جِوَاكَ بالصّبرِ الجَمِيْـــلِ

ولاَ تَجْزَعْ وإنْ أعْسَرتَ يَوْمًا فَقَدْ أيسرت في الزَمَنِ الطّوِيْلِ

ولاَ تَيأسْ فإنْ اليأسَ كُفرُ لَعَلّ الله يُغني مِنْ قَلِيل

ولاَ تَظُنَّنَ بربكَ غير خَيْرٍ فإنّ الله أولَى بالجَمِيْلِ

وَغنِ العُسْرَ يتْبَعه يَسَـــارٌ وقَوْلُ الله أَصْدَقُ كُلِ قِيْلِ

فَلَوْ أَنّ العُقُولُ تجر رِزْقـــا لَكَانَ الرِزْقُ عندَ ذَوِي العُقُولِ[3]

و من خلال ما تقدم ذكره يتضح لنا أن الخلفاء الراشدين لم يتصدوا للشعراء، و لم يحرموا الشعر اللهم إلا الشعر الذي سبق أن عارض القرآن الكريم أو تصدى للنبي الكريم، و أنهم حذوا حذو النبي- صلى الله عليه وسلم-

---

[1] القلقشندي"صبح الأعشى في صناعة الانشا" دار الفكر، دمشق،1987م،ص319

[2] العسقلاني"فتح الباري"ص54

[3] المصدر نفسه، ص123

4. نظرة الشعراء إلى الإسلام

كان أغلب شعراء الجاهلية من أشراف القوم و سادتهم فأغلبهم أمراء و أهل فروسية و حرب،كان يغلب على شعرهم الفخر و الحماسة و التباهي بأنسابهم و العصبية لقبائلهم،فلم جاء الإسلام هادفا إلى تطهير النفوس من أثار العصبية الجاهلية، و محاربا تتلك النزعات البدوية موحدا و جامعا العرب على كلمة سواء تخلوا عن الشعر و الشعراء مركزين اهتمامهم بالحرب و الجهاد في سبيل الله ناشرين الدعوة الإسلامية مخاطبين بها العقول و قارعين بها الإسماع، فأسلم من أسلم و ناصر الإسلام بشعره و منهم من بقي على كفره معاديا الإسلام، وأولى هذه المجموعات هم الشعراء المخضرمون الذين عاشوا في الجاهلية و أدكوا الإسلام، حيث بدأت قريش حملتها الشعرية على الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام فكانت حملة مسعورة آذت النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين، ومن بين هؤلاء الشعراء الذين بقوا على كفرهم مدافعين عن معتقداتهم:

أبو عزّة الجمعي الذي كان له من المواقف المؤذية للإسلام والمسلمين مما جعلته يتعرض للقتل، أما أمية بن أبي الصلت الذي كان يكثر التردد على مكة فسمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فحسده على الرسالة، حيث كان يتمنى أن يكون ذلك المرسل مما أدى به إلى نظم الكثير من آيات القرآن ويدخلها في شعره الذي يكثر فيه:" الشر والحساب محاكيا ألفاظ القرآن الكريم في قوله:

وَيَوْمَ مَوْعدُهمْ أَنْ يُحْشرُوا زُمرَا يَوْمَ التّغَابنْ لا يَنْفَعُ الحَذَر

وأَبرَزُوا بِصَعيد مُسْتَر جَرَز وأَنْزَلَ العَرْشَ والمِيْزَان والزُبر

عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ينشدون هذه القصيدة بين يديه قال:« آمن شعره وكفر قلبه».[1]

أما قيس بن الخطيم فرغم إسلام امرأته حواء إلا انه بقي على كفره حيث كان يصدها عن الإسلام ويعبث بها ويأتيها وهي ساجدة فيقلبها على رأسها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل

[1] ابن سلام الجمحي محمد"طبقات فحول الشعراء"دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت،ص57

الهجرة يخبر عن أمور الأنصار وعن حالهم، فأخبر بإسلامها وبما تلقى من قيس فلما كان الموسم أتاه النبي في مضربة، فلما أتى رحب به وأعظمه فقال النبي:« إن امرأتك قد أسلمت وأنت تؤذيها وأحب أن لا تعرض لها».قال نعم وكرامة يا أبا القاسم لست بعائد في شيء تكرهه.

فلما قدم المدينة قال لها:" إن صاحبك قد لقيني فطلب إليّ أن لا أعرض لك فشأنك وأمرك"ويروى قتل وهو على كفره.[1]

مقابل ذلك ظهرت فئة خدمت الإسلام والمسلمين فهذا عبد الله الزبعري الذي تاب وأناب ورجع وأقلع وذكر الله كثيرا وامتدح الإسلام بعدما كان يذمه فهو يقول في مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

يَا رَسُول المَلِيــكِي إنّ لِسَانِي رَائِقٌ ما فَتؤقتُ إذ أَنَا بُور

إذ أَجَارِي الشَيْطَانُ في سنَن الفــ ي ومِنْ مَالِ ميلَة مَبْثُــور[2]

ومثال لذلك لشاعر أدرك عصر الرسول عليه أزكى الصلاة والتسليم وسمع برسالته فهو أحمد أبناء عمومة النبي صلى الله عليه وسلم بشره غير انه بعد فتح مكة أسلم وانتقد نفسه في الكثير من المواقف، وما أقدم عليه في صدر الإسلام نجده يمتدح الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات:

لَعمْرُكَ إني يَومَ أحْمِلُ رَايَــــة لِتَغْلِب خَيْلُ اللاّتِ خَيْلُ مُحَمّد

لكَالَ مدْلَج الحِيرَان أظلَمَ لَيْلَة فَهَذَا أَوَانُ حين أهْدِي وأَهْتَدِي

هُدْ إِلَيّ هَاد غَيْرَ نَفٍ وَقَادَ لِي إِلَى الله من طَرَدْتَ كُلّ مُطْرَد[3]

فلما أسلم لم يكن أحد أحبّ إليه من رسوا الله فكان يمدحه بعدما كان يهجوه ويتولاه وبعدما كان قد عاداه.

---

[1] ابن كثير الدمشقي" تفسير القران"دار الكتب العلمية،بيروت،الجزء السابع،ص332.

[2] المصدر نفسه، ص332،

[3] إبراهيم قدور المرجع السابق، ص17

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأمثلة أمثلة أخرى برز فيها صوت الشعر قويا مثل قول عبد الله بن رواحة يخاطب أهل مكة وقد دخل وهو يأخذ زمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول:

خَلُوا بَني الكُفَار عَنْ سَبِيلِهِ فَلَوْ في كُلّ الخَيرِ معَ رَسُولِهِ

نَحْنُ ضَرَبنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا ضَرَبنَا لحْم علَى تَنْزِيْلِهِ

ضَرَبُنَا يُزِيلُ الهمَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخَلِيلُ عَنْ خَلِيْلِهِ[1]

فالشاعر هنا يمتدح شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقود ناقته واصفا إياها بالخير العميم متحديا الكفار.

أما النابغة الجعدي هذا الشاعر الذي عاش وعمر طويلا حيث قيل أنه ولد قبل النابغة الذبياني لكن الله مدّ في عمره ليدرك الإسلام فاستخدم معاني إسلامية جديدة، فوصف النبي بأنه مرسل جاء بالهدي ووصف القرآن الكريم بأنه كتاب منير كالكواكب يهتدي بها الناس حيث يقول:

أَتَيْت رَسُولَ الله إذْ جَاءَ بالهُدَى ويَتْلُوا كِتَابًا كالمَجرّةِ نيْرَا[2]

إضافة إلى قصيدة ابن مالك الذي يقول فيها:

قَصَدْنَا من تهَامَة كُلَّ رَيْبْ وَخَيْبَر ثُمّ أَجْمَهْنَا السُيُـــــوفَ

نَفِيرُهَا ولَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعهُم قَوَاطِعهُنَّ دَرْسًا أو ثَقِيْفَا[3]

1إبراهيم قدور" المرجع السابق"، ص35

[2] ابن سلام الجمحي المرجع السابق ص58

3ابن كثير الدمشقي المصدر نفسه ص332

5. مفهوم شعر الدعوة المحمدية

من خلال موقف ترحيب النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر و الإثابة عليه يمكن لنا أن نعطي مفهوما لشعر الدعوة الإسلامية ونتعرض له من خلال آراء بعض الباحثين، كالدكتور مصطفى يونس رحمة الله تعالى عليه الذي قال معرفا أدب الدعوة الإسلامية عامة:" هو ذلك النتاج الأدبي الذي قاله الشعراء والناثرون تحقيقا لأهداف الدعوة الإسلامية ودعما لمبادئها، ودفاعا فن كيانها".[1]

وكذلك الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا فقد عرف شعر الدعوة الإسلامية بقوله: " هو كل شعر سداه العاطفة الدينية المتأججة ولحمته المعاني القرآنية السامية، وقوامه تصور الكون والأشخاص من خلال الإسلام ومثله، لا فرق في ذلك بين مدح أو هجاء أو فخر أو رثاء أو وصف".[2]

وممن حدد مفهوم شعر الدعوة الإسلامية عبد الرحمن الميداني عندما عرف أدب الدعوة الإسلامية قائلا:" أدب الدعوة هو ما يتضمن توجيها إيجابيا لما فيه خير دعا إليه الإسلام من عموم ما يطلق عليه أدب".

إذن وكل هذه التعريفات تتفق على أن شعر الدعوة الإسلامية هو الشعر الذي يتفق مع الإسلام، ويقف مناصرا له بطرق مختلفة مباشرة أو غير مباشرة، لأن الدعوة إلى أي مذهب لا تقتصر على الحث المباشر والصريح على اعتناقه بل لا بد أن تسلك الطرق غير المباشرة لتكون ناجعة، لذلك يدخل في مفهوم شعر الدعوة الإسلامية كل شعر قيل في تصوير ما يعرض لأتباع الدعوة من آلام وأحزان، ووصف بطولاتهم في المعارك التي خاضوها دفاعا عنها والإشادة برجالها والتنويه بفضائلهم الخلقية، ورثاء الذين قتلوا في سبيلها والنيل من أعدائها الذين تصدوا لها، وغير هذا مما يدخل في بابه، لأن هذا الشعر له أثره القوي في بثّ حرارة الإيمان في قلوبهم، والمحافظة على ولائهم لها، وجعلهم مستعدين لبذل نفوسهم في سبيلها، دفاعا عنها ورغبة في استمرارها.

---

[1] ابن كثير الدمشقي "المصدر السابق"، ص333.

[2] محمود ربيع، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، مكتبة الخانجي القاهرة ص46.

- **خصائص شعر الدعوة الإسلامية:**

ينفرد شعر الدعوة الإسلامية عن غيره من الشعر بخصائص فنية تدل على تميزه وتفرده بين الآداب وأبرز هذه الخصائص ما يأتي:

1. الروح الإسلامية العالية:

هذه الروح الإسلامية لا نجدها إلا في شعر الدعوة الإسلامية ولا تحسها إلا بين قصائده العامرة بالإيمان المفعمة باليقين، ذلك أن هذا اللون من الشعر لا تخرج موضوعاته عن الدعوة إلى الله، وإبراز معالم الإسلام وتوضيح مآثر الدين، ونشر آثار السالفين، وتلك موضوعات لا يمكن أن تؤدى بعيدة عن الروح الإسلامية العالية، والمشاعر الدينية الرفيعة.[1]

2- استيحاء الأفكار والمعاني من القرآن الكريم والسنة النبوية:

يستوحي شعر الدعوة الإسلامية أفكاره ومعانيه من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية الشريفة، لأن شاعر الدعوة يستطيع أن يجاوز الحد الذي رسمه له الدين، وليس في وسعه أن يتخطى الدائرة التي أحاطه بها الشرع، بل إنه ليحد نفسه وقد انجذبت غلى ذلك التيار الديني القوي، فلا يستطيع منه فكاكا، ولكنه يندفع إلى ذلك التيار بكل قوته، يصور جلال الدعوة، ويسجل مآثر الدين، ويوضح جمال الإسلام، متأثرا في ذلك بأسلوب القرآن الكريم، وبلاغة النبي صلى الله عليه وسلم، وبما فيهما من معان نبيلة، وصور جميلة.[2]

---

[1] محمود زيني "المرجع السابق"، ص47

[2] المرجع نفسه:، ص47.

الفصل الثاني

"دور الشعر في نشر الدعوة الإسلامية"

1. الشعر وسيلة إعلامية
2. دور الشعر في التصدي لواقع الخرافات و الآفات و إبراز القيم الخلقية.
3. المعاني القرآنية في شعر صدر الإسلام
4. دور الشعراء المسلمين في التصدي للكفار و المشركين
5. دور الشعر في الفتوحات الإسلامية

1. الشعر وسيلة إعلامية

إذا كانت الرسالة الإعلامية هي مجموعة الأفكار و الاتجاهات و المعلومات و الإحساسات،التي يرغب المرسل في إرسالها،فان اللغة كانت هي الوسيلة الوحيدة وقتئذ لنقل الرسالة، لذلك أضفى عليها المرسل مسحة من الشعرية كي تحدث التأثير المطلوب في المتلقي.

أضف إلى ذلك أن "اللغة و الإشارات و الحركات و الإيقاع كلها وسائل لنقل الرسالة، و هذه الرسائل الإعلامية ، واقعية كانت تبث لتصل إلى أعداد كبيرة من الناس،يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية، و ينتشرون في مناطق متفرقة، و هذه الرسائل تحمل مجموعة من الأخبار أو البيانات الحربية، و المعلومات التي تدور حول الأحداث ، أو المعارك الدائرة بين الطرفين ، و يتميز هذا الأسلوب الشعري في نقل الأخبار إلى الناس ، بأنه أسلوب إقناعي تعبيري في الوقت ذاته، أجل لقد كان الشاعر لسان حال القبيلة، يعبر عن غرضها و ينطق بلسانها، شأنه شأن الصحف الرسمية في وقتنا الراهن و كان العرب ذوي نفوس حساسة، و شعور رقيق تقعدهم الكلمة و تقيمهم، و كانوا أهل حافظة، فإذا أعجبهم البيت حفظوه و تناقلوه فيشيع على ألسنتهم كبارا و صغارا و هكذا يمضي الشعر مسجلا الأحداث تسجيلا حيا.[1]

و لقد تتبع الشعر الدعوة الإسلامية و صور أحداثها بكل دقة، و ذلك منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع نفر من جنود الحق الذين ساندوه بسيوفهم و ألسنتهم فكان لهم الفضل في تصوير أحداث المعارك التي نحن على علم بها بكل تفاصيلها الدقيقة، فالعرب آنذاك لم تكن لها وساءل الإعلام تنقل وقائع المعركة و البطولة، و أخبار تحرك الجيوش المحاربة، و علامات التقدم إلى الأمام و حلاوة الانتصار ، كما هو شائع و معروف اليوم في الصحف و المجلات و الإذاعة، هنا انتبه الشعراء إلى مهمتهم الجديدة التي تتمثل في تسجيل كل أحداث المعارك من خلال أبيات شعرية صادقة،تحمل قوة إيمانهم التي تظهر في كل لفظ اختاروه، خاصة و أنهم خاضوا هذه المعارك، هذا مما جعل شعرهم يهز المشاعر داعيا إلى الالتحاق بجنود الله و رسوله الكريم.

[1] مهداوي محمد"شعر الغزوات في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم"أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي،2002-2003م،ص75

و هذه أبيات لحسان بن ثابت يفتخر فيها بالانتصارات التي حققها المسلمون في غزوة بدر العظمى التي نشرت الذعر و الخوف في نفوس المشركين و شجعت المسامين على الالتحاق بجنود الحق و فيها يقول:

أَلَا لَيْـــتَ شِعْـــرِي أَتى أَهْلَ مَكَّةَ إِبَادَتُنَا الكفَّارَ، فِي سَاعَةِ العُسْرِ
قَتَلْنَا يَسْرَاةَ القَومِ عِندَ مَجَالِنا فَلَمْ يَرْجعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ
قَتَلْنَا أَبَا جَهلٍ وَ عُتبَةَ قَبْلَهُ وَ شَيبَة يَكبُو لِليدَينِ وَ لِلنَّحْـــرِ
قَتَلْنَا سُوَيْدًا ثُمَّ عُتْبَةَ بَعْدَهُ وَ طعْمَة أَيضًا عِندَ ثَائِرَة القَتـــرِ
فَكَم قَدْ قَتـــلْنَا مِـــنْ كَرِيم مُسوَدا لَهُ حَسبٌ فِي قَومِهِ نَابهُ الذُّعرُ
تَركْنَاهُموا لِلعاوِيَاتِ يَنْدُبنَهُم وَ يَصلُونَ نَارًا بَعْدَ حَاصِبَة القَعْر[1]

فلما انتشرت الجيوش الإسلامية لنشر الدعوة، اخذ بعض المحاربين بقول الشعر في البطولة أو في المواجهة ، فتغنوا بإقدامهم و قوة كتيبتهم ووصفوا المعارك و مواقف الانتصار، كما وصفوا ما قاسوا من متاعب و ما اجتازوه من بلدان.

و بعدما ظهر الجهاد في سبيل الله و أخذ المجاهدون يغتربون عن الأهل و الوطن في الغزوات و شرعوا يرسلون برسائلهم إلى الأهل و الأحبة ليطمئنوهم و يطمئنون عليهم كانت بهذا الأسلوب:

(ألا من مبلغ الأكفاء عني) أو(ألا من مبلغ عني مغلغلة)أو(يا راكبا بلغن ،عني مغلغلة....)

قال عامر ابن الاطنابة و هو من أشراف الخزرج لما سمع بتهديد ابن الأشهل بقتاه ثارا لمقتل غلام من قضاعة و قد قتله رجل من بني النجار:

أَلا مَنْ مبلِّغا الأَكفاء عني و قَدْ تَهْدَى النّصِيحَةُ للنّصيحِ
فإنّكُمْ و مَا تَرْجُون شَطْرِي مِنَ القِوْلِ المُزجي و الصَّرِيحِ[2]
سَيَندَمُ بَعضَكُم عجلا عَلَيهِ و مَا أَثَرُ اللّسَانِ إلى الجُرُوحِ

[1] ابن هشام"السيرة النبوية" تحقيق طه عبد الرءوف سعد،الجزء الثاني،ص124
[2] المرجع نفسه، ص76-77

هكذا كانت الرسائل تصاغ شعرا لسهولة حفظها من قبل الرسول الذي يوصلها إلى المرسل إليه، و في الغالب كانت شفوية ، و في هذا المجال قال الضحاك بن ثابت من بني كعب، يتهم بالنفاق و حب اليهود، فقال فيه حسّان بن ثابت يكشف للناس خبثه و نفاقه:

من مَبْلِغ الضّحَاك أَنّ عُرُوقَه أَعْيَتْ عَلَيّ السّلاَم أنْ تَتَجَمّدَا

أَتُحِبُ يهدان الحجار و دِيْنَهُم كَبِد الحِمَار و لاَ تُحبُ مُحَمّدَا

دِينًا لَعَمْرُك لا يُوَافِقُ دِينَنَا مَا أستنّ أل بالبدي وُجُودَا

و استمر الشعر في هذا المنهج الإعلامي يفصح، و يحذر القوم من تصرفات هؤلاء المنافقين.

و هاهو حسان يعود مرة أخرى يقول أبياتا في قبيلة هذيل التي خدعت المسلمين و التي قيلت فيها عشرات القصائد في فضحهم:

إنّ سِرّكَ الغَدر صرفًا لا مزاحَ لَه فَاتَ الرّجيعُ فسل عن دَار لحيَان

قَوْم تَواصَوا بأَكْل الجَار بَيْنَهُم فَخَيرُهُم رَجُلا و التيس مِثْلاَن

لَيَنْطِق التيْس ذوا الخصيين وَسَطَهُم لَكَانَ ذَا شَرَف فيهم و ذَا شَانَ

و قال أيضا:

سَألتْ هُذَيل رَسُول الله فاحِشَة ضَلّت هُذَيل بما سَألت و لَم تصَبْ

سَألُوا رَسُولَهم مَا لَيْس معطِيهُم حَتى المَمَات وَ كانُوا سبة العَرَبْ

و لَنْ تَرضى هُذيل دَاعِيا أَبَدا يَدْعوُا لمكْرَمَة عن مَنْزل الحَربْ [1]

فقد هجا حسان هذيلا بقصائد كثيرة فأقذع في هجائها و لم يترك لها مكرمة واحدة و لم تعد أي قبيلة تثق في أفرادها أو تتحالف معها.

و الظاهرة الغنية التي تلفت الانتباه في شعر الفتوح في ذلك العصر أن أكثر الشعر كان :"مقطوعات قصيرة ارتجاها المجاهدون أو نظموها في غير أناة أو روية، ليصوروا أحداث القتال التي كانت تتلاحق في

[1] ابن هشام" المرجع السابق" ص78

سرعة خاطفة، فحملت كأنها بلاغات حربية أو تقريرات عسكرية تحمل في كلمات موجزة أنباء القتال و أخبار الوقائع"[1]

من ذلك ما قاله حسان بن ثابت بعد غزوة احد:

سُقتُم كِنَانَة جَهل مِن سَفَاهَتِكُم إلَى الرّسول فجُندُ الله مُخْزِيهَا

أَوْردتُموها جياضَ الموتِ ضَاحِيَة فالنّار مَوعِدُها و القَتلُ لاَقِيهَا

جَمَعتُمُوهُم أَحَابيشًا بلاَ حَسَب أَئِمَة الكُفرِ غرّتكُم طَوَاغِيْـــها

إلاّ أعتَبرتُم بخَيْل الله إذْ قَتَـــلَت أَهْلَ القُليبِ و مَنْ القَينَهُ فِيهَا

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلاَ ثَمَـــنِ وَ جَز نَاصِية كُنَّا مَوَالِيهَا

و بعد فتح مكة عزم الرسول صلى الله عليه وسلم ، على غور هوازن و قبيل وصوله إليها بأيام، أرسل العباس بن مرداس السلمي، رسالة إعلامية ترهيبية يخبرهم فيها أن عن ضخامة جيش المسلمين الذي انضمت إليه معظم القبائل العربية، و ذلك ليبين لهم أنّه من العبث محاولة المواجهة فقال:

أَبلِغْ هَوَازِن أَعْلاَهَا وَ أَسفَلِها مِنِّي رِسالَة نَصِيحُ فِيهَا تِبْيَان

إِنِّي أَظُنُّ رَسُولُ الله صَاحِبكُم جَيشًا لَهُ فِي فَضاءِ الأَرْضِ أَرْكَان

فِيهِم سَلِيم أَخُوكُم غَيْرَ تَارِكِكُم وَ المُسْلِمُون عِبَادَ الله غسّان

وَ فِي عَضَادتِه اليُمْنَى بَنُوا أُسدٍ و الأَجْربان بَنُوا عَبْسٍ وَ ذُبْيانٍ

تَكادُ تَرجُفُ مِنهُ الأَرضُ رَهبَة وَ فِي مُقَدِّمَته أوْس وَ غُنْمَان[2]

هذا الدور الذي قام به الشعر في نشر الخبر و إيصاله إلى الناس، عن طريق الرواية الشفوية أو المكتوبة يكون قد أنجز مهمة إعلامية لا تقل أهمية عن دور وسائل الإعلام المختلفة في وقتنا الراهن.

[1] يوسف خليف "تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي"نشر و توزيع القاهرة، ص28

[2] ابن كثير الدمشقي "البداية و النهاية"المجلد الثاني، الجزء الثالث،دار البيان الحديثة،الطبعة الاولى2003م،بيروت،ص38

و بفضل تلك القصائد الشعرية انتقلت أحداث المعارك إلى السنة السامعين، و دارت في محيط الجزيرة العربية فأيقن المؤمنون بنصر الله فقويت شوكة النبي عليه أفضل الصلوات و ازكي التسليم، التي بدأت تزداد يوما بعد يوم خاصة في أول معركة أهم.

فتدوين أحداث المعارك و أخبار الغزوات الحافلة بالبطولات الحربية التي سطرها الشعراء كان نظما رائعا بل بمثلبة العيد الأكبر، حيث هلل الجميع و كبروا بنصر الله مستبشرين ، فلولا تناقل أخبار المعارك و ما دار فيها على السنة الشعراء ما سمع العرب هذه الأنباء مباشرة ، مما أدى إلى ارتياح النفوس المؤمنة عند سماعهم أنباء الانتصار، حيث اقبل الكثير من المشركين إلى الدين الحق معلنين إسلامهم خاصة من شهد المعارك الضارية التي دارت بينهم و بين جيش المسلمين و من بين الشعراء الذين رسموا معركة بدر في سطورهم حسان بن ثابت و كعب بن مالك و غيرهم من الشعراء المسلمين التي كانت قصائدهم الوسيط الإعلامي و الوحيد في جزيرة العرب، حيث استعملوا هذه الوسيلة لخدمة الإسلام ، و جعلوها للذود عن الرسول صلى الله عليه وسلم و الدفاع عن الرسالة المحمدية في العصور الإسلامية الأولى ، ففي كل يوم و في كل موقف من مواقفه "شارك الشعراء بألسنتهم كما شاركوا بأيديهم ، كأنما أصبح الشعر سلاحا أخر من أسلحة القتال يعتمد عليه المقاتلون كما يعتمدون على سيوفهم و رماحهم و سهامهم".[1]

و هكذا يتضح مما لا يدع مجالا لأدنى شك أن الشعر كان من العوامل المهمة التي ساعدت على انتشار الدعوة المحمدية ، ومن هنا ندرك مغزى النبي الكريم "إن من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا"[2]

و الحكمة من الشعر هي دوره المشهود من خلال عصور العروبة و الإسلام المتعاقبة في الدفاع عن عقائد الأمة و أخلاقها، و في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت قصائد الشعراء هي المنبر الإعلامي الأول و المؤثر على المجتمع حينها.

---

[1] ابن كثير الدمشقي" المرجع السابق"، ص29

[2] أبو زيد محمد أبي الخطاب القرشي"جمهرة أشعار العرب" دار مكتبة اهلال،الطبعة الثانية،بيروت،ص51

1. دور الشعر في التصدي لواقع الخرافات و الآفات و إبراز القيم الخلقية

لقد شهد الإنسان في الجاهلية و صدر الإسلام صراعا مريرا بين القيم المادية و القيم الروحية في توجيهه، فانتشرت الخرافات و المعتقدات و عبادة غير الرحمان و تفشت الانحرافات التي أصبحت داءا يستعصى علاجه، و هذا كله كان نتيجة تغلب القيم المادية على القيم الخلقية في توجيه الإنسان، و من ثم أصبح كل شيء في واقع الحياة الإنسانية مادة، و انعكس هذا الواقع إلى تعدد المعبودات بتعدد المنافع، إلى أن جاء الدين الجديد الذي شجع مكارم الأخلاق "و نبذ البخل و حماية الجار، و إغاثة الضعيف، و نصرة المظلوم و مطلب الشجاعة و الفروسية، و القوة، و المروءة و الوفاء إلى أشباهها من الصفات الحميدة و الطيبة و المقبولة إنسانيا".[1]

وفق كل هذا أمر بعبادة الواحد الأحد خالق الكون بعيدا عن عالم المادة وما ينجر عنها من رذائل.

من هنا طهرت مهمة الشعراء المسلمين في نشر تعاليم الدين الجديد الذي يدعوا إلى الأخلاق الحميدة، فجاء دورهم متمما و مساندا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-للدفاع عن الأخلاق الإسلامية، فالموضوعات المدحية عند الشعراء الذين اسلموا تطورت بظهور الأخلاق الإسلامية، و هذا يتضح أكثر في القصيدة الفخمة التي نظمها كعب بن زهير في مدح سيد الخلق محمد —صلى الله عليه وسلم- و التي يقول فيها:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يَسْتَضاءُ بِه مُهنَّدٌ مِن سُيُوف اللهِ مَسْلُول [2]

كما أن له أبيات يدعوا فيها إلى الإسلام و يذكر فيها بعض الأخلاق الحميدة التي يجب إتباعها و فيها يقول:

رَحَلتُ إِلَى قَومِي لأَدعُوا جُلَّهُم إِلَى أَمرِ حَزْمٍ أَحْكَمَتْهُ الجَوَارِحُ

---

[1] مي يوسف حليف«مقدمات في تاريخ أدبنا القديم نصوص شعرية و نثرية» دار قباء للتوزيع و النشر، القاهرة، ص46

[2] إبراهيم الكيلاني«تاريخ الأدب العربي» ديوان المطبوعات الجزائرية،الجزء الأول، الجزائر،ص513

أما حسان بن ثابت من خلال بيته الشعري الذي يوصينا بالكرم التي هي من أهم الأخلاق التي أمر بها الله عز و جل الذي يقول فيه:

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولِ الله شِيعَتِهم إِذَا تَفرقَتِ الأَهْوَاءُ وَالشِيَع[1]

و لأن الخمر كانت معشوقة ذلك الزمان، و كانت في اغلب الأحيان سبب الانحراف، فان الإسلام أعلن رفضه لها و حرمها، و هذا في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ أمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَ المَيْسِرُ وَ الأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَيْطَانِ فاجْتَنِبُوه لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2]

و تحريمها اخذ بعض الشعراء في هجائها من خلال قصائد أعدت خصيصا لذلك.

كما إننا نلاحظ مدى الدور الذي مثله الشعر في التصدي للآفات و إحلال المكارم مكانها خاصة ما جاء في أبيات احد الشعراء التي يقول فيها:

الشِّعْرُ يَحْفَظُ مَا أَوْدَى الزَّمانُ بِه وَ الشِّعْرُ أَفْخَرُ مَا يَنْبِي عَنِ الكَرَمِ

لَوْلاَ مَقالُ زُهَيْر فِي قَصَائِدَهُ مَا كُنْتَ تَعرِفُ جُودًا كَانَ فِي هَرَم[3]

و توجه الشعراء المسلمين إلى الوعظ و الإرشاد و هي غاية نبيلة دعا إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿**أُدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبكَ بالحِكْمَةِ وَ المَوعِظَة الحَسَنَةِ**﴾.

و أكدها رسول الله —صلى الله عليه وسلم بقوله:«الدين النصيحة»

و تعد لامية صرمة بن أبي انس الأنصاري في طليعة تلك الأشعار،صاغ مثل الإسلام و كثيرا من مبادئه بأسلوب رفيع، و توجه بنصيحته إلى أبناءه و هي طويلة نكتفي منها بقوله:

يَا بَنِي الأَرْحَامِ لا تَقْطَعُوهَا و صَلُوهَا قَصِيرَةٌ مِنْ طِوَال

وَ اتَّقُوا اللهَ فِي ضِعَافِ اليَتَامَى رِيمًا يَسْتَحلُّ غَيرَ الحَلاَلِ

إلى أن يقول:

---

[1] مي يوسف خليف، المرجع السابق،ص171

[2] سورة المائدة، الآية 90

[3] عبد الرحمن حليل إبراهيم«مقدمات في تاريخ أدبنا القديم نصوص شعرية و نثرية»دار قباء للنشر و التوزيع،القاهرة،ص177

وَ اجْمَعُوا أَمْرَكُمْ عَلَى البِرِّ وَ التَّقْـــ وَى وَ اترُكِ الخَنَا وَ خُذْ الحَلاَل[1]

أما بالنسبة للشجاعة و الكرم و الوفاء بالوعد، و حماية الضعفاء فهي عمادات ايجابية في مقابل الأخذ بالثأر و التفاخر بالأنساب و التباهي بالاحساب فهي عادات سلبية، و هذه العادات بايجابياها و سلبياها انعكست على العرب من طبيعة إقليمهم، فأصبحت فيهم غريزة، و الشعر العربي أدى دوره فيها متطورا مع النفس العربية فكان اتجاها فرديا في هذه العادات، و اجتماعيا فيها، و من ثم كان تصويرا للجانبين معا و تعبيرا عنهما مؤكدا الجانب الايجابي و بذلك أسهم الشعر في ترسيخ هذه المعاني الأخلاقية، و هذه الأخيرة ظلت حتى الإسلام فأقر الايجابي منها و نبذ السلبي.

[1] عبد الرحمن خليل إبراهيم"المرجع السابق"، ص178-179

2. المعاني القرآنية في شعر صدر الإسلام:

لقد كان القرآن الكريم مجالا واسعا للشعراء في إستلهام معانيه خاصة في أشعارهم الحربية التي خدموا بها السلام والإسلام، فزينوا أشعارهم بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، واستلهموا من الآيات القرآنية صفة الجنة والنار عبّروا عنها في أشعارهم، كما جاءت في القرآن الكريم خاصة عن الخوض في إحدى معاركهم، فأبصارهم كانت معلقة في الجنة كأنهم يرونها ويرون ذلك الوعد الذي قطه لهم الرحمن وهذا ما نلمسه في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَعَدَ اللهُ المُؤمِنِيْنَ والمُؤمنَاتِ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا ومَسَاكِن طَيِّبَةً فِي جَنَاتِ عَدْنٍ ورِضْوَان مِنَ اللهِ أكبرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْمْ**﴾.[1]

فهذه الآية إستلهم معانيها كعب بن مالك حين ذكر مصيل سعد بن عُبادة الذي إستشهد بعد غزوة الخندق وفيها يقول:

فَإمَا تَقتُلوا سَعْدا سَفَاه فإنَ اللهَ خَيْر القَادِرِيْنَ

سَيُدخِلُه جَنَات طيبَات تَكُون مَقامه للصَالِحَين أَبَدِي[2]

أما وصف الجنة بالفردوس وفيها الخلود في مثل ما أتى في الآية الكريمة الحادي عشرة من سورة المؤمنون الذي قال فيها رب العالمين:﴿ **الذِيْنَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ**﴾.[3]

أما ذكر الجنة في القرآن الكريم أنها عالية شأنا ومقاما في قوله تعالى:﴿ **في جنة عالية**﴾.[4]

إستلهم حسان بن ثابت هذا المعنى في رثائه لحمزة بن عبد المطلب في هذا البيت:

صَلّى اللهُ عَلَيْك في جَنَةٍ عَالِيَة مُكَرّمة الدَّاخل[5]

أما ذكر الجنة في القرآن الكريم إنها ذات ضلال دائم لا حرّ فيها ولا برد في قوله تعالى:

﴿ **إنَّ المُتّقِيْنَ في ضِلاَل وعُيُون**﴾.[6]

---

[1] التوبة الآية 72.

[2] مي يوسف خليف عبد الله التيطاوي، مقدمات في تاريخ أدبنا القديم نصوص شعرية ونثرية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ص177.

[3] المؤمنون الآية11.

[4] الحاقة الآية 22.

[5] محمد الطاهر درويش، ديوان حسان بن ثابت، دار المعارف مصر، ص445.

[6] المرسلات الآية 41.

فحسّان بن ثابت أيضا يذكرها في رثاء الشهداء وفيها يقول:

فَصَارَ مع المُسْتَشهدِين ثَوَابَه جِنَان ومُلْتَف الحَدائِقَ أخْضَرُ[1]

لم يترك الشعراء اسما و لا معنى من معاني القرآن الكريم إلا أفادوا منهم في أشعارهم فالألفاظ الأكثر شيوعا في القرآن الكريم مثل: الإيمان، الإسلام، النبي، الرسول، الشهيد، الصلاة، الزكاة، الحج، الركوع، السجود، و غير ذالك كثير، أضحت شائعة في هذا الجيل الذي كان قدوة لمن جاء بعده من الشعراء العصور الأخرى، ومن هذه المفردات و الأسماء المذكورة في القرآن الكريم و التي ذكرها الشعراء ما نظمه حسان في المدح و الفخر كما يقول حسان بن ثابت في البيت الذي سبق ذكره"

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولِ الله شِيَعتُهُم إذا تَفرّقَت الأهْوَاءُ و الشِيَعُ[2]

أما البيت الأتي ففيه ذكر حسان و رسول الله و روح القدس حيث يقول:

و جِبْرِيلُ رَسُول الله فِيْنَا و رُوحُ القُدُس ليسَ فيه له كِفَاءُ[3]

إن التأثر الإسلامي لحسان بن ثابت واضح من انتقائه لمفردات إسلامية و معاني قرآنية في رثائه للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في البيت الأخير:

و مَا فَقَد المَاضُون مِثْلَ مُحَمّدٍ ولا مِثله حتَى القِيَامَ

نبيٌ أتَانا بَعْد يَأسٍ و فَتْـــرَةٍ مِنَ الأوثَانِ في الأرْضِ تُعْبَدُ

فأمْسَى سِرَاجا مُسْتَنيرا و هَادِيًا يلوُحُ كَمَا لاحَ الصَّقِيلُ المُهَنَدُ

و أنذَرَنا نَارًا و بَشَّرَ جنّتًا و عَلّمَنا للإسْلامَ فالله نَحْمَدُهُ

لكَ الخَلقُ و النَعْمَاء و الأمْرُ كُلّهُ فإيّاكَ نَسْتهدِي و إيّاكَ نَعْبُدُ[4]

أما توحيد الله فقد استقى معناه كعب بن مالك حين ره على ضرار بن الخطاب القهري في يوم الخندق و هو يقول فيها:

---

[1] ابن كثير الدمشقي البداية والنهاية ، المجلد الثاني الجزء الرابع، دار الكتب العلمية بيروت ص172..

[2] مي يوسف خليف عبد الله التطاوي«مقدمات في أدبنا القديم نصوص شعرية و نثرية» دار قباء للنشر و التوزيع،دار الطبعة،القاهرة،ص172

[3] المرجع نفسه،ص172

[4] المرجع السبق ،ص 172-173

و يَعْلم أَهْل مَكّة حَيْثُ و أَحزَاب أتُوْا مُتَحزّبيْنَا
بأنّ الله ليس له شَريكٌ و أنّ الله مَوْلى المُؤمنيْنا [1]

و كذلك استقى حسان بن ثابت بعض المفردات من سورة العاديات في قوله تعالى:

﴿و العَادِيَاتِ ضَبْحًا و المُورِيَاتِ قَدْحًا و المُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرن بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِه جَمْعًا﴾ [2]

يقول حسان:

عَدِمنا خيلنا إنّ الم تروها تُثِير النَّقْعَ مَوْعِدُها كِدَاءُ
يُبَارينَ الأسِنّة مُصّفيَات على أَكْتافِهَا الأسّل الظّمَاءُ [3]

و كذلك استقى بعض المفردات من النص القرآني في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيْم﴾ [4]

و الذي يقول فيه:

يَدُلُ على الرّحمنِ مَن يَقْتَدي به و يَنْقذ مِن هَولِ الخَزَايا وَ يَرشُدُ
عَزِيْزٌ علَيه أنْ يَجوّروا عَنِ الهُدَى حَرِيْصٌ أنْ يَسْتَقِيمُوا و يَهْتَدُوا [5]

و يصور النابغة الجعدي نشأة الإنسان و قدرة الخلق سبحانه و تعالى في قوله:

الخَالِقُ البَارِئ المُصَوِر ال أرْحَام مَاء حتَى يَصيَر دَمًا
مِنْ نُطفةٍ قدّرَها مُقَدِّرها يَخْلق مِنْهَا الأبشَارَ و النّسمَا
ثُمَ عِظَاما أقَامَهَا عَصَبٌ نَمَت لَحْمًا كَسَاه فَالتَأَمَا
ثُمَ كَسَاه الرِيش و العَقَائِق أَبْشَارا و جِلْدًا تَخالُه أَدَمَا [6]

---

[1] مي يوسف خليف"المرجع السابق"، ص177
[2] القران الكريم سورة العاديات الآية 1234
[3] د السيد حنفي حسانين «ديوان حسان بن ثابت» دار المعارف،1983،ص73
[4] القران الكريم سورة التوبة الآية 128
[5] المرجع نفسه ص 378
[6] قطب سيد«التصوير الفني في القران الكريم» دار الشروق،بيروت،الطبعة الثامنة،1983م،ص29

هذه الأبيات إنما هي تدل على تأثره في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنْ كُنْتشمْ فِيْ رَيْب مِنْ العَبَثِ فَإِنَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلّقَةٍ وَ غَيْر مُخَلّقَةٍ لِنُبَيّنَ لَكُمْ وَ نُقِرّ فِيْ الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى﴾[1]

و يقول النابغة أيضا:

لَوَى الله الغَيْب عمَّن سِوَاه و يَعْلَمُ مِنْهُ ما مَضَى و تَأَخَر[2]

إذ نجده في هذا البيت متأثرا بآيات القران الكريم، قال تعالى:﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبة احد﴾[3]

يقول عبد الله بن رواحة:

شَهِدْتُ بأنّ وَعْدَ الله حَقّ و أنَّ النّارَ مَثْوَى الكَافِرِيْنَا

و أنّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ و فَوْقَ العرْشِ رَبُ العَالمِيْنَا

و تَحمِلُهُ مَلائِكَة كِرَام مَلائِكَةُ الإِلَه مُقَرّبِينَا

نلحظ أن الصورة في البيت الأول كانت مستقاة من قوله تعالى:﴿والّذِيْنَ كَفَرُوا يَتَمَتّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوَى لَهُمْ﴾[4]

و الصورة في البيت الثاني في قوله تعالى:﴿وَ هُوَ الّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتَ وَ الأَرْضَ فِيْ سِتّةِ أَيَامٍ و كَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلوَكُمْ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلَا و لَئن قُلْت إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنّ الّذِيْنَ كَفَرُوا إِنّ هَذَا إِلَا سِحْرٌ مُبِيْنٌ﴾[5]

و البيت الثالث مستوحى من قوله تعالى:﴿وَ المَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِل عَرْشَ رَبَّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[6]

قال حسان:

---

[1] سورة الحج، الآية 5

[2] النابغة الجعدي«الديوان»ص55

[3] سورة الجن، الاية26

[4] سورة محمد،الآية 12

[5] سورة هود،الآية 7

[6] سورة الحاقة،الاية17

وَ أَرْسَلَهُ فِي النَّاسِ نورا و رحمة فمن يرض ما يأتي من الأمر يهتد[1]

فهو متأثر بقوله تعالى:﴿و مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَا هُدًى وَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾[2]

و قال كعب بن زهير:

فَقُلْتُ خَلُّوا طَرِيقِي لا أَبَا لَكُمْ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحمنُ مَفْعُول [3]

فقد أخذ المعنى من البيت السابق من قوله تعالى:﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[4]

قال النابغة الجعدي:

أُكَنِّي بِغَيرِ اسْمُهَا وَ قَدْ عَلِمَ اللهَ خَفِيَّات كُلّ مَكَتتم[5]

فقد استلهم الشاعر معنى البيت من قوله تعالى:﴿رَبَّنَا إِنّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَ مَا نُعْلِنُ وَ مَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِيْ الأَرْضِ و لاَ فِيْ السَّمَاءِ﴾[6]

و كما نلاحظ لشعر النابغة الجعدي أن بعض مفرداته قد استقاها من القرآن الكريم

فعندما يقول:

الحَمْدُ للهِ لاَ شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسُه ظُلْمًا[7]

فالشطر الأول من البيت مقتبس من آيتين:" فالحمد لله" مقتبس من سورة الفاتحة كما هو معروف، و"لا شريك له مقتبس من قوله تعالى: ﴿لاَ شَرِيْكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِيْنَ﴾[8]

أما قوله:

---

[1] حسان بن ثابت«الديوان» تحقيق:قصاب،ص165

[2] سورة الأنبياء،الاية107

[3] كعب بن زهير"الديوان"،تحقيق الجويدي،ص132

[4] سورة الأنفال،الآية 44

[5] النابغة الجعدي"الديوان"،ص157

[6] سورة إبراهيم، الآية 38

[7] النابغة الجعدي" الديوان" ص147.

[8] سورة الأنعام الآية 163.

فَأْتَمِرُوا الآنَ مَا بَدَا لَكُم وَاعْتَصِمُوا إِنْ وَجَدْتُم عِصَما

فبداية الشطر الثاني مقتبس من قوله تعالى:﴿ وَاعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءا فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُمْ﴾[1]

ومن قوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ ونَذِيرٌ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾[2]

وقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[3]

وقوله تعالى:﴿ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4]

أما القصص القرآني فقد كان مجالا آخر لاستلهام الشعراء فتناولوا ما جاء في القرآن الكريم من قصص الأنبياء و الرسل، و رددوها في أشعارهم ملتمسين منها الهداية و العبرة و الحكمة فكثر في شعرهم قصص الأنبياء نوح و إبراهيم و موسى و شعيب و داوود و من الأمم عاد و ثمود و أهل مدين و سبأ و مثل ذلك كثير من الأمم البائدة.

[1] سورة آل عمران، الآية103.
[2] سورة المائدة، الآية19.
[3] سورة الأحزاب، الاية46.
[4] سورة الأعراف، الآية188.

3. دور الشعراء المسلمين في التصدي للكفار و المشركين

حين اشتد الصراع بين الإسلام و الكفر، و انقسم العرب إلى فريقين: فريق تفتحت قلوبهم للإسلام و عقولهم للاستنارة بهداد، و فريق صدوا عن سبيله و أصروا على الكفر به، جرد كل فريق ما يملك لمحاربة الفريق الأخر.

و طبيعي أن يشارك الشعر في هذا الصراع و أن يواكبه في جميع مراحله، فوقف فريق من الشعراء إلى جانب النبي صلى الله عليه وسام و فريق أخر إلى جانب قريش، و برز منهم شعراء لم يقولوا الشعر إلا قبل الإسلام، كابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم و أخيه في الرضاعة بقي في صفوف المشركين، يدافع عنهم و يؤذي رسول الله عليه الصلاة و السلام و يهجوه،[1]

و إلى ذلك يشير حسان بن ثابت في قصيدته المشهورة:

هَجَوْتُ مُحمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَ عِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ[2]

لقد تعاون اليهود و المنافقين في الخفاء ضد الرسول –صلى الله عليه وسلم–فأشعلوا نار الفتنة و العداوة بين المسلمين بإثارة الماضي بين الأوس و الخزرج و نقضوا العهود و المواثيق بين الرسول الكريم و بينهم حتى إنهم حاولوا إقناع قريش بالحرب ضد النبي و المسلمين فكان أسلوب التضليل و الكذب شعارهم في اكتساب قريش، و كان من المفروض أن يقفوا إلى جانب رسول الله و يعترفوا برسالته، لأنهم أصحاب كتاب سماوي، لكن حقدهم و طبيعة أخلاقهم، جعلهم يؤيدون الكفر و الشرك ضد الإيمان و التوحيد.

و من مظاهر التضليل الذي ارتكبه اليهود في الماضي هو قول حي بن اخطب الذي قدم إلى مكة مع زعماء من بني وائل لإثارة هذه الفتن حيث قال:

---

[1] سامي المكي العاني،المرجع السابق،ص23

[2] حسان بن ثابت"الديوان"ص156

"إن دين قريش أفضل من دين محمد" [1]

و هذا التصريح الذي كان أمام زعماء قريش إن دل على شيء إنما يدل على نشر الحقد، فكان لهم ذلك فقد نجح اليهود و المشركين بتظليلهم في كسب قريش و قبائل من عطفان و كنانة و تهامة و بنوا مرة و أشجع و ألفوا منهم جيشا واحدا قوامه عشرة ألاف مقاتل لغزو المدينة لكن الرسول –صلى الله عليه وسلم–سمع بما يخطط له اليهود فسارع إلى تحصين المدينة بحفر الخندق حولها فأصبحت المدينة مهيأة للدفاع و نفوس المسلمين معبّأة بحب الاستشهاد و الموت في سبيل الله.

و بدأت الحرب بينهما أخذت صورا متعددة و أساليب مختلفة فكانت في صورة الحرب الباردة و حرب الأعصاب، مما أدى إلى إدراك الرسول–صلى الله عليه وسلم–قيمة الحرب الكلامية و أثرها في نفوس الناس فعني بالرد على شعراء قريش فكان التراشق بالكلام سلاحا من أسلحتها بين شعراء الكفار و شعراء الإسلام.[2]

و من شعرائهم الذين حاربوا الإسلام، و هجوا رسول الله سلام بن أبي الحفيف، و أضاف كعب بن الأشراف إلى هجاء الإسلام التشبيب بنساء المسلمين.

و كان جبل بن جوال ممن بكى بني النضير و بني قريظة و هجا المسلمين في مثل قوله:

أَلاَ يَاسَعدُ سَعدَ بَنِي مُعاذٍ لِما لَقِيت قَرْيَة وَ النَّضِيرُ

وَ أقْفَرت البَويرَة مِنْ سَلاَمٍ وَ سعْيَة بْنِ اخْطَبِ فَهِيَ بوْرُ

و قَدْ كانُوا بِبَلدَتِهم ثِقَالاً كَمَا ثَقلَت بِميطَان الصُخُورُ

وَجَدْنَا المَجْدَ قَد ثَبَتُوا عَلَيه بِمَجدٍ لاَ تغيبُهُ البُدُورُ

أَقِيمُوا يا سرَاةَ الأَوْس فِيْهَا كَأَنّكُم مِن الجْزَاةِ عُورُ

تَرَكتمُ قَدرَكُم لاَ شَيْء فِيْهَا و قَدرُ القَوْمِ حَامِيَة تَفُورُ[3]

---

[1] محمد حسين"الهجاء و الهجاءون في الجاهلية"دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الثانية، ص87

[2] المرجع السابق، ص88

[3] سامي المكي، العاني المرجع نفسه، ص27

فانبرى له حسان بن ثابت يصفه بقوله، و يعيب على اليهود نصرهم لقريش المشركة أصحاب كتاب فقال:

تَفَاقَدَ مَعْشرٌ نَصَرُوا قُرَيْشًا وَ لَيْسَ لَهُمْ بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ

هُمْ أَتُوا الكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وَهُمْ عُمَى مِنْ التَّوْرَاةُ بَوْرُ

كفرتم بالقرآن و قد أتيتم بتصديق الذي قال النذير[1]

و هذا ضرار بن الخطاب شاعر الكفار يصور جيش الأحزاب بصورة ترهب المسلمين و تضعف معنوياتهم و فيها يقول:

ومُشْفِقَةٌ تَظَنُّ بِنَا الظُّنُونُ وَ قَدْ قُدْنَا عَرَنْسَةٍ طَحُونَا

كَأَنَّ هَاءها أُحُدٌ إِذَا مَا بَدَتْ أَرْكَانُهُ للنَّاظِرِينَا

و في هذا الشأن لم يقف شعراء الإسلام إزاء هذا الموقف المشين من اليهود معقودي اللسان بل انطلقت شاعريتهم و خاضت عاطفتهم الإسلامية تبرز هذا الحدث في صورة متأثرة بالقرآن الكريم في ألفاظه و أساليبه و معانيه ومن هؤلاء الشعراء كعب بن مالك الذي رد على ضرار مصورا جيش الأحزاب في صورته الحقيقية و مؤكدا أن الله ناصرهم و فيها يقول:

وَ يَعْلَمُ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا وَ أَحْزَابٌ أَتُوا مُتَحَزِّبِينَا

بَأَنَ اللهَ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ وَ أَنَّ اللهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينَا[2]

أما حسان بن ثابت فقد وصف جيش الأحزاب بإحساسه و عاطفته الإسلامية حيث يقول:

وَ أَشْكُّ الهُمُومَ إِلَى الإِلَهِ وَ مَا تَرَى مِنْ مَعْشَى ظَلَمُوا الرَّسُولَ غِضَابُ

سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيهِ وَ أَلَّبُوا أَهْلَ القُرَى وَ بَوَادِي الأَعْرَابِ

جَيْشٌ عيينَة وَ ابْنُ حَرْبٍ فِيهِمْ مُتَخَبِّطُونَ بِجَلَبَة الأَحْزَابِ[3]

[1] سامي المكي العاني"المرجع السابق" ص27-28

[2] إبراهيم خليل عبد الرحمان"دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية"نشر و توزيع الجزائر، ص359

[3] المرجع نفسه، ص359

وقد كان للنساء دور بارز في هذه المعارك الشعرية فشاركن فيها بالبكاء على القتلى وبالتحريض على الانتقام وبالتشفي حين يقتل رجال الأعداء.

ظهر منهن إلى جانب قريش هند بنت عتبة بن ربيعه ومن شعرها قولها شامتة بقتل حمزة(رضي الله عنه):

نَحنُ جَزيْنَاكُمْ بِيَومِ بَدْرٍ وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سِعْرٍ

مَا كَانَ عَنْ عُتْبَة لِي مِنْ صَبْرٍ وَلَا أَخِي وَعَمُّهُ وبَكْرِي

شُفِيَتْ نَفْسِي وَقَضَيتُ نَذْرِي شفيت وَحشِي غَلِيلَ صَدْرِي[1]

ومنهن قتيلة بنت الحارث التي بكت أخاها النضر وعاتبت رسول الله صلى الله عليه وسلم.ألانه لم يمن عليه ويطلقه.

وصفية بنت مسافر التي بكت أهل القلب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش. .

ومن الشاعرات المسلمات ميمونة بنت عبد الله التي ردت على كعب ابن الأشرف في تحريضه على الرسول وبكائه قتلى قريش.

وصفية بنت عبد المطلب التي بكت أخاها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بأبيات تفيض لوعة وحزن، ونعت فيه شمائل الإسلام وهند بنت أثاثة التي رثت عبيده بن الحارث حين استشهد من مصابه ببدر وناقضت هند بنت عتبة حين أعلنت تشفيها بقتل مسلمي أحد. [2]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الشعراء المسلمين يؤيدهم ويشد أزرهم ويوجههم إلى ما يوافق الإسلام ويرد عن ا المسلمين هجاء المشركين وأذاهم.

لقد كان يدرك أثر الشعر في تلك المعارك، وتأثيره في نفوس العرب فحث شعراءه على هجاء الكافرين والتصدي لهم ليشفي صدور المسلمين ويرفع عن كواهلهم ما يثقلها من تلك الأشعار فكان يقول لهم: قولوا لهم مثل ما يقولون لكم وقد فصلنا الحديث عن اتخاذ رسول الله الشعر سلاحا في المعركة في فصل الرسول والشعر.

---

[1] سامي المكي العاني، ص28-29

[2] المرجع السابق،ص28

وهكذا وقف شعراء الإسلام يذبّون عن دينهم سهام أشعار المشركين. و تحولت الصورة التي رسمها الإسلام لجيش الكفر إلى صورة تعكس حربا تهديدية لقريش تنتظرها لإبادتها، كما تبرز ثقة المسلمين بنصر الله طالما أمنوا به، و في ذلك دعوة إلى الإسلام تحملها الشعر في أقصى الظروف و أشدها عند مداهمة الأخطار فرفع ذلك من روح المسلمين المعنوية، و الهم حماسهم في مواجهة جيش الكفار.

4. دور الشعر في الفتوحات الإسلامية

لقد حبب الله تعالى إلى المؤمنين الجهاد وزينه في قلوبهم فقال تعالى: ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيْلِ الله الّذِيْنَ يَشرونَ الحَيَاةَ الدُنْيَا بالآخِرَة ومَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيْلِ الله فَيُقْتَلْ أو يغْلَبْ فَسَوْفَ نُؤتِيْهِ أَجْرًا عَظِيْمًا.**﴾[1]

وثمة عشرات الآيات التي تحثهم على الجهاد وتدعو إلى القتال في سبيل الله.

كما أكدت الأحاديث النبوية أهميته فجعلته أفضل الأعمال بعد الإيمان ودورة سنام الإسلام وبابا من أبواب الجنة وكانت سيرة رسول الله القدوة الحسنة في الجهاد في سبيل الله والتضحية من أجل الإسلام.

فاندفع العرب في أقطار الأرض فاتحين محررين إعلاء لرسالة الحق ونشرا لتعاليم الإسلام في أرجاء ا لمعمورة بعد أن أمدهم الإسلام بطاقة روحية هائلة.

وقد اجتذب ألق الجهاد كل المؤمنين وجميع الشعراء المسلمين الذين استبدت بهم روح الشوق إلى ساحات الشرف والفداء فاستجابوا لداعي الحق وكانوا في طليعة الجيوش الإسلامية الزاحفة.

وقد ترددت الأعاني الإسلامية الجديدة في أشعار أولئك المجاهدين المنطلقين في سبيل الله وهم يحملون في صدورهم تعاليم الإسلام ويحدوهم الهدف النبيل الذي خرجوا من أجله وهو النصر لإعلاء كلمة الله أو الشهادة ودخول الجنة.

وقد عبر عن ذلك المغيرة بن شعبة حين التقى برستم قائد الفرس فقال :يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار ويظهر من بقي منا على من بقي منكم[2].

و تمثل أشعار أبناء الشاعرة الخنساء في معركة القدسية تلك الروح العالية التي كان يحملها المجاهدون وتجسد معاني البطولة وتصور روح الفداء والتضحية في سبيل المبادىء الخيرة فقد

---

[1] سورة النساء،الاية74

[2] سامي المكي العاني،المرجع نفسه،ص79-80

حضرت الشاعرة حرب القدسية ومعها بنوها الأربعة فنصحتهم وحثتهم على القتال والإقدام فلما أضاء لهم الصبح بكروا مراكزهم وانشأ أولهم يقول-:

يَا إِخْوَتِي إِنَّ العَجُوزَ النَّاصِحَه قَدْ نَصَحَتْنَا إِذْ دَعَتْنَا البَارِحَه
مَقَالَة ذَات بَيَانٍ وَاضِحَه فَبَكِّرُوا الحَرْبَ الضَّرُوسَ الكَالِحَه
وَإِنَّمَا تَلَقُونَ عِنْدَ الصَّائِحَه مِنْ آلِ سَاسَانِي الكِلاَبِ النَّابِحَه
قَدْ أَيْقَنُوا مِنْكُم بِوَقْعِ الجَائِحَه وَأَنْتُمْ بَيْنَ حَيَاة صَالِحَه[1]

وتقدم فقاتل حتى استشهد ثم حمل الثاني وهو يقول-:

إِنَّ العَجُوزَ ذَاتُ حَزْمٍ وَجَلَدٍ وَالنَّظَرُ الأَوْفَقُ وَالرَّأْيُ السَّدَدُ
قَدْ أَمَرَتْنَا بِالسَّدَادِ وَالرَّشَـــدِ نَصِيحَة مِنْهَا وَبَرَا بِالوَلَدِ
فَبَاكَرُوا الحَرْبَ حُمَاة فِي العَدَدِ إِمَّا لِفَوز بَارِدٍ عَلَى الكَبِد
أَوْ مَيِّتَة تُورِثُكُم عِزَّ الأَبَـــــدِ فِي جَنَّة الفِرْدَوسِ وَالعِيشِ الرَّغَدِ[2]

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الثالث وهو يقول-:

وَاللهِ لاَ نَعْصِي العجوزَ حِرفًا قَدْ أَمَرتْنَا حَربًا وَعطْفًا
نَصحًا وَبَرًا صَادِقًا وَلُطْفًا فَبَادَرُوا الحَرْبَ الضَّرُوس زَحْفًا
حَتَّى تَلَفُوا آل كِسْرَى لفا أَوْ يَكْشِفُوكم عَنْ حِمَاكُم كَشْفًا
أَنَا نَرَى التَّقْصِيرَ عَنْكُم ضَعْفًا وَالقَتْلُ فِيكُم نَجْدَة وَزُلْفَى

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الرابع وهو يقول-:

لَسْتُ لِخَنْسَاءَ وَلَا لِلآخَـــرِ وَلاَ لِعَمْرُو ذِي السَّنَاء الأَقْدَمِ
إِنْ لَمْ أُرِد فِي الجَيشِ الأَعْجَمِ مَاضٍ عَلَى الهَوْلِ خِضَمِ خَضْرَمِ

---

[1] معروف نايف"الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين"دار النفائس،بيروت، الطبعة الأولى، ص245
[2] المرجع نفسه،ص146

إِمَّا لفَوز عَاجِلٍ وَمَغْنَم أَوْ لِوَفَاء فِي السَّبِيلِ الأَكْرَمِ[1]

فقاتل حتى استشهد فبلغ أمهم الخنساء الخبر فقالت :الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

ويعبر الشاعر جميل بن سعيد عن عقيدة المجاهدين الصادقين في القتال حيث يقول :

وَلَسْتُ أُبَالِي إِنْ قُتِلْتُ لِأَنَّنِي أُرجَي بِقَتْلِي فِي الجِنَانِ مَقَامِي[2]

والشاعر المجاهد عبد الله بن رواحه يتوجه لغزو الروم في مؤتى ويودعه أصحابه قائلين نسأل الله أن يردك سالما فيجيبهم بقوله:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمنَ مَغْفِرَة وَضرْبة ذَاتُ فَرْغ تَنْضحُ الزَّبَدا

أَوْ طَعْنَة بِيَدِي حَران مُجَهَّزَة بِحَرْبَة تَنْفذُ الأَحْشَاء وَالكَبِدَا

حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جدَثِي يَا ارشَد الله مِنْ غَاز وَقَد رشدَا[3]

تلك كانت أغاني وأناشيد الشعراء في فتواهم الإسلامية وهى إحدى ثمرات الإسلام الشعرية . ومن ثمراته الأخرى في تلك الفتوحات لون جديد من الأشعار يتشوق فيها الشعراء إلى مواطن صباهم وملاعب طفولتهم التي بعدوا عنها سائحين في بلاد الله النائية فحركت لوعة البعاد فيهم أحاسيس الشوق ومشاعر الحنين إلى تلك المواطن الغالية فأرسلوا زفراتهم أشعارا مشحونة بالعواطف الرقيقة والمشاعر الصادقة.

فهذا أحد الشعراء المجاهدين يحس بالحنين إلى موطنه نجد متشوقا إلى أرضها متطلعا إلى خيامها فلا ينفك يرسل عبراته متحجرة فيقول :

أُكَرِّرُ طَرفِي نَحْوَ نَجْدٍ وَإِنَّنِي بِرَغْمي وَإِنْ لَمْ يُدْرِك الطَّرَفُ النَّظَر

حَنِينًا إِلَى أَرْضٍ كَأَنَّ تُرَابَها إِذَا أُمْطَرتَ عُود وَمِسْكٌ وَعَنْبَرٌ

[1] معروف نايف"المرجع السابق"،ص146-147

[2] ابن هشام"المصدر السابق"ص248

[3] المصدر نفسه ،ص249

بِلاَدٌ كَأَنَّ الأُقْحُوَانَ بِرَوْضِـــه وَنُورُ الأَقَاحِي وشِي بَرْدٍ مُحَبر
أَحُنُّ إِلَى أَرضِ الحِجَازِ وَحَاجَتِي خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرَفُ يُقْصَرُ
وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْد بِنَافِع أَجَل-لاَ-وَلَكِنِّي إِلَى ذاكَ أَنْظُر
أَفِي كُلِّ يَومٍ نَظْرَةٌ ثُمَّ عَبــرَةٌ لِعَينَيْكَ مَجْرَى مَائِهَا يَتحدَّرُ
مَتَى يَسْتريحُ القلبُ إما مُجاورٌ بِحَرب فَما نَازِح يَتذَكَّرُ

وقد فتقت الفتوح قرائح كثير من الآباء الشيوخ إما تشبثا ببقاء أبنائهم معهم أو شوقا إليهم بعد أن بعدوا عنهم وفارقوهم وهم في اشد الحاجة إليهم. وأشعارهم في ذلك تعبر عن قصص ومواقف إنسانية عظيمة لم يستطع ولاة الأمور إزاءها إلا الاستجابة لندائهم المكلوم وإرجاع أبنائهم إليهم. ومن تلك الأشعار أبيات الشاعر المخبل السعدي الذي تطوع ابنه الوحيد في جيش سعد بن أبي وقاص المتوجه إلى بلاد فارس فقال:

أَيملِكُني شَيبَان فِي كُلِّ لَيلةٍ لِقَلْبي مِن خَوفِ الفِرَاقِ وَجَيبِ
وَيُخبِرُني شَيبانُ إن لَم يَعقني تعق إِذَا فَارَقْني وَتَحُوب

ويقول فيها:

فإن يَكُو غُصْني أُصْبِح اليَومَ بَالِيًا وَغُصنُكَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ رَطِيبِ
إِذَا قَالَ صَحْبِي يَا رَبِيعُ أَلا تَرَى؟ أَرَى الشَّخْصَ كَالشَّخْصِ وَهُوَ قَرِيبٌ
أَشَيْبَانُ مَا يُدْرِيكَ إنَّ كُلَّ لَيْلَة غَبقَتك فِيهَا وَالغَبُوق حَبِيبٌ[1]

وكان الشاعر المخبل قد أسن وضعف وكاد يغلب على عقله فعمد إلى ماله ليبيعه ويلحق بابنه فمنعه علقمة بن هودة وأعطاه فرسا وقال له: أنا أكلم لك عمر في رد ابنك وتوجه إلى عمر وأنشده أبيات المخبل فرق له عمر وكتب إلى سعد يأمره أن يرد شيبان إلى أبيه فرده عليه ولم يزل عنده حتى مات ويهاجر كلاب بن أميه بن الأشقر إلى المدينة في خلافة عمر ويقيم بها مدة ثم يلقى طلحة والزبير

[1] سامي المكي العاني،المرجع نفسه،ص85-86

فيسألهما :أي الأعمال أفضل ؟ فيقولان له: الجهاد في سبيل الله .فيتوجه إلى الخليفة عمر ويسأله أن يغزيه فيرسله عمر للغزو وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبة كلاب قال أبوه وكان شاعرا:

لِمنْ شَيْخان قَدْ نَشَدَا كِلاَبا كِتابَ الله إن حَفِظ الكِتَابا

إِذَا هَتفَتْ حَمَامة بَطْن وَج عَلَى بَيْضاتِهَا ذكرا كِلاَبَا

وَإِنَّك والتِمَاسُ الأجْرِ بُعدِي كَبَاغِي المَاءِ يَتْبَعُ السَّرَابَا

تَرَكْت أَبَاك مرعَّشَة يَدَاهُ وَأُمَّكَ مَا تَصِيغُ لَهَا شَرَابَا

وأكثر من أشعاره الباكية يتشوق فيها إلى ابنه حتى بلغ شعره عمر فكتب إلى سعد يأمره بإقفال كلاب فلما قدم أرسل عمر إلى أمية فقال له :أي شيء أحب إليك؟ قال :النظر إلى بنى كلاب فدعاه له فلما رآه اعتنقه وبكى بكاء شديدا فبكى عمر وقال :يا كلاب الزم أباك وأمك ما بقيا وحين كان يشد المجاهدون على أعدائهم لم يكن ذلك يلهيهم عن التوجه إلى الله يستمدون منه العون أو ينسيهم إن يستنزلوا النصر منه تعالى بل كانت ألسنتهم تلهج بذكره وقلوبهم تعمر بالتوكل عليه واليقين بنصره فقائد المسلمين في فتح دمشق خالد بن الوليد يحمل على الروم وهو ينشد:

لَكَ الحَمْدُ مَوْلاَيَ عَلَى كُلِّ نِعْمَة وَشُكْرا أَوْلَيتَ مِنْ سَابِغ النِّعَمِ

مَنَنْتَ علَيْنَا بَعْدَ كُفرٍ وَظُلْمَـــةٍ وَأَنْقَذْتَنَا مِنْ حَندَس الظُّلمِ وَالظُّلَمِ

وَأَكْرَمتنَا بِالهَاشِمِي مُحمَّـــــدٌ وَكشفْتَ عَنَّا مَا نُلاقِي مِنَ الغَمَمِ

فَتَمَّم إِلهُ العَرشِ مَا قدْ نَرُومُه وَعجَّلَ لِأهلِ الشِّركِ بِالبُؤسِ وَالنِّقَمِ[1]

و لم يفتر لسان المجاهدين عن ذكر الله ولا قلوبهم عن الإنابة إليه فضرار بن الأزور يبتدر لحرب الروم في فتح دمشق وهو يقول:

عَلَيْكَ رَبِّي فِي الأُمُورِ المُتَّكلُ اغْفِرْ ذُنوبِي إِنْ دنَا مِنِّي الأَجلُ

يَا رَبِّ وفِقْنِي إِلَى خَيرِ العملِ وَعنِّي امْحِ سَيِّدِي كُلَّ الزَّلَلِ

[1] سامي المكي العاني"المرجع السابق"،ص87-88

أَنَا ضِرَار الفَارِس القَرم البَطَل بَاغٍ عَلَى الأعْدَاءِ أضْحَى المُتَّصِلُ

أقْمَعُ بسَيْفِي الرُّومَ حتَّى تَضمَحِلُّ مَالِي سِواكَ فِي الأُمُورِ مِنْ أَمَلِ[1]

وأسهم الشعر في تحريض المؤمنين على الجهاد ومواصلة الكفاح وكان من أبلغ الوسائل في استنهاض الهمم وإلهاب جذوة الحماس في صدور المقاتلين فأنشده القادة يحرضون به جنودهم على المضي في الجهاد كما انشده الجنود يستحثون به رفاقهم في السلاح والعقيدة على مواصلة الجهاد والنضا، .فكانت أشعار الفتوحات الإسلامية أناشيد رائعة تزخر بروح الا يمان والاستبسال كقول قائد معركة اليرموك خالد بن الوليد:

هبُّوا جَمِيعُ إِخْوَتِي أَرْوَاحًا نَحْوَ العَدوِّ نَبْتَغِي الكِفَاحا

نَرْجُو بِذَاكَ الفَوْزِ والنَّجَاحَا إِذَا بَذَلْنَا دُونَهُ أَرْوَاحـــــا

وَيرزُقُ اللهُ لَنا صَلاَحـــــا فِي نَصْرِنا الغُدوَّ والرَّوَاحا[2]

وحين عظم النزال واشتد القتال بين المسلمين والروم في حروبهم لفتح الصعيد بصر خرج من بين صفوف المقاتلين الشاعر رفاعة بن زهير المحاربي يحرض الناس على القتال وهو ينشد قائلا:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ والسَّاداتِ والِهمَمِ وَيَا أُهْلَ الصَّفَايَا مَعْدَنُ الكَرَم

فَسدَّدُوا العَزْمَ لاَ تَبْغُوا بِهِ فَشَلا وَمكِّنُوا الضَّرْبَ فِي الهَامَات والقِمَمِ

وَخَلَفُوا القَوْمَ فِي البَيْدَاءِ مُطرَحَة عَلَى الثَّرى خمشاً بِالذُّلِّ وَالنّقَمِ[3]

وبعد :فقد كان الجهاد الذي حاول البعض أن يرد إليه إنشغال العرب عن قول الشعر من أهم العوامل التي أذكت جذوة الشعر وجعلته يسير على ألسنة المجاهدين سواء في غزواتهم الأولى أو في فتوحاتهم.

---

[1] سامي المكي العاني"المرجع السابق"،ص89

[2] ابن هشام "المصدر نفسه "،ص289

[3] ابن هشام"المصدر السابق" ص30

وإن هذا الجهاد قد فتق آفاقا جديدة أمام الشعر العربي تجلت في شعر الحنين ورثاء النفس والأعضاء واحتسابها في سبيل الله ووصف الطبيعة الجديدة في الميادين والأمصار المفتوحة. ويمكن أن نعد شعر الفتوحات نموذجا حيا لاستجلاء آثار الإسلام في الشعر العربي حيث كان يعبر عن واقع حياة المسلمين آنذاك وعقيدتهم.

و بهذا أدى الشعر دوره في نشر الدعوة الإسلامية باللسان بعد البيان مؤكدا الإيمان بالله و رسوله-صلى الله عليه و سلم.

الفصل الثالث

"حسان بن ثابت شاعر الدعوة الإسلامية"

- حسّان قبل الإسلام سيرته و أغراض شعره
- حسّان بعد الإسلام و أثر القرآن في شعره

إن العرب كما هو معروف و شائع أهل فصاحة و بلاغة، يؤثر فيهم الشعر، فممن برزوا في هذا الميدان و حملوا لواء ذلك السلاح الذي لا يقل أهمية، حسان بن ثابت فكان بحق رائد الأدباء و الشعراء الذين عاشوا معارك الدعوة الإسلامية كتجربة شخصية انعكست معالمها على شعرهم، بحيث جاء صورة حية ناطقة لها من الأثر ما يفوق وقع السهام.

لقد كان سلاح الكلمة من أنفذ أدوات الحروب في معارك الدعوة الإسلامية، فقد كان يشاطر الحروب القتالية، بل يفوقها في بعض الأحيان.

1. سيرة حسان بن ثابت

أ-مولده و نسبه

هو حسان بن ثابت"بن المنذر بن حرام بن عمروا بن زيد بن مناة بن عدي بن عمروا بن مالك بن النّجار الخزرجي".[1]

ولد حسان بن ثابت بالمدينة عام 563م بمدينة يثرب في بيت من أعرق بيوت النجار، يقال انه يكبر النبي –صلى الله عليه وسلم – بما يقارب سبع سنوات، حيث أن مولد الرسول –صلى الله عليه وسلم- كان عام 571م و المؤرخون" يكادون يتفقون على أنه عاش مائة و عشرين سنة، ستون منها في الجاهلية و ستون منها في الإسلام"[2]

ب-كنيتـــــــــــــه

لقب حسان بألقاب عديدة منها:

أبا الوليد، و أبا عبد الرحمان، وأبا الحسام و أبا المضرب.[3]

---

[1] محمد محمد حسين"الهجاء و الهجاءون في الجاهلية" دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ص211

[2] المرجع نفسه، ص212

[3] محمد الطاهر درويش"ديوان حسان بن ثابت" دار المعارف، دار الطبعة،مصر، ص132

ج-قومه و قبيلته

كان قومه من سادة اليمن و أهل الرياسة فيها، وهم" أبناء عمروا بن عامر، نزحوا إلى شمال الجزيرة عند حراب سد مأرب، فكان بالمدينة منهم الأوس و الخزرج قوم حسان، و كان بالشام إخوتهم الغسانيون، و بالحيرة بنو عمهم اللخميون"[1].

د-بيت حسان و مكانته

بلغ بيت حسان بن ثابت درجة عالية من السيادة و الشرف، فقد كان جده المنذر خطيب القوم يوم سميحة" و كان الحكم الفيصل الذي التقت عليه الخصوم، و قضى فقبل الأوس و الخزرج قضاءه بعد أن ردوا قضاء غيره".[2]

ه-شاعرية أسرته

امتزجت في بيت حسان عراقة النسب بالعراقة في الأدب، فكانت أسرته أسرة شاعرة، فابنه عبد الرحمان و هو ابن أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعرا كما كانت له ابنة شاعرة كذلك، حيث يروى انه ذات ليلة "عنّ له الشعر فقال:

مَتَارِيكُ أَذْنَابِ الأُمُور إِذَا أَعْتَرَت أَخذْنَا الفُرُوعَ و اجْتَثَثْنَا أُصُولُهَا

ثم أجبل فلم يجد شيئا، فقالت له ابنته: كأنك قد أجلبت يا أبه، قال اجل قالت فهل ل كان أجيز عنك؟ قال: وهل عندك ذلك؟ قلت: نعم، قال: فافعلي.

فقالت:

أَقَاوِيْلٌ بِالمَعرُوفِ فُرْس عَنِ الخَنَا تَنَاوَلَتْ مِنْ جَوِّ السّمَاءِ نُزُولُهَا

و قالت:

يَرَاهَا الذي لاَ يَنْطِق الشِّعْرَ عِنْدَهُ و يَعجزُ عَنْ أَمْثَالِهَا إِنْ يَقُولُهَا

---

[1] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص132

[2] المصدر نفسه، ص134

فقال حسان: لا أقول بيت شعر و أنت حية، قالت: أو منك؟قال:و تفعلين، قالت: نعم لا أقول بيت شعر ما دمت حيا"[1]

2. –حسان بين شعراء عصره

كان لحسان درجة كبيرة في الشاعرية، فاقد كان شاعر أهل المدر في الجاهلية، و كان شاعرا عبقريا، يعرف كيف يستولي على مجامع القلوب و الأنفس، لذا بلغ منزلة لا تكاد تدانيها منزلة شاعر من شعراء عصره.فلما قال للحارث بن عوف ما قال:

و إنّ امْرُءًا أَمْسَى و أَصْبَحَ سَالِما مِنَ النّاسِ إلاّ مَا جَنَى لِسَعِيْد

قال الحارث لمحمد: اخبرني من شعر حسان فو الله لو مزج به ماء البحر لمزجه"[2]

لقد عاش حسان نصف عمره في الجاهلية و النصف الأخر في الإسلام ، فقبل إسلامه و عاش حياته الأولى بالمدينة فتقاسم شبابه جانبان:حياة اللهو و حياة النعيم و حياة الجد بإشراكه فيما بين قومه و إخوتهم الأوس من نزاع و حرب ." و هذا النزاع خلق منافسات و مشاحنات أحيانا تصل إلى قذف الحجارة و المضاربة بالسيف و الخشب"[3]

و حسان لم يكن بعيدا عن تلك الأحداث بل في طليعة شعراء الخزرج فكان في هذه الفترة يغلب على شعره النزعة الجاهلية، خاليا من روح الإسلام ، و لأنه عاش في بيت رياسة و شرف و بيئة شعر ، و كان ذا جاه و نسب عريق فان هذه الحياة بما فيها قد أثرت في حسان و أثّر فيها.

3. –أغراض شعر حسان بن ثابت في الجاهلية

أكثر حسان في الهجاء، و ما تبقى من الافتخار بالأنصار و لذلك كان شعره أول الأمر دائرا بين تصور عواطفه و لذته في الشراب و الغزل، وبين الافتخار بمظاهر هذه السيادة في قومه و الهجاء لأعدائهم.

---

[1] ابن قتيبة،المصدر السابق، ص194

[2] محمد ابن سلام الجمحي"طبقات الشعراء" دار النهضة العربية للطباعة و النشر، دار الطبعة، بيروت، ص53

[3] فواد افرام البستاني"الروائع" الطبعة السابعة، 1984، ص92

فشعور حسان بمجد أبائه و مفاخر قومه، و شدة حاجته إلى التنويه بهذه المناقب العالية و الوقوف إلى جانب الخوارج في حروبهم مع الأوس أدى إلى شيوع الفخر في إشعاره "و حتى يشق على البحث أن يجد له مطوّلة واحدة خلت من الفخر"[1]

فحسان مزج بين الفخر و الغزل أكثر قصائده، كما مزج بينهما و بين الوصف في كثير منها أيضا.

و المتتبع لشعره الجاهلي في ديوانه يجد أن" هناك اثنين و خمسين قطعة ، منها ثلاث عشرة قصيدة تزيد الواحدة منها على خمسة عشرة بيتا، و قد فخر في اثني عشرة منها و تغزل في تسع، ووصف في تسع فامتزج فخره بالغزل في ثمان، و بالوصف في ست".[2]

أ-الهجـــــــــــاء

الهجاء فن من أهم الفنون الشعرية التي أكثر منها شعراء الجاهلية نظرا للظروف التي يعيشها العرب في جاهليتهم و حسان من بين هؤلاء الشعراء الذين أرغمتهم الظروف على قول الهجاء كونه" لم يكن في الهجاء لذاته ضالته و لذته، و لكن أعداء قومه و حساده هم الذين لجؤوا إلى هجومهم لذلك كان هجاؤه قليلا في الجاهلية"[3]

لقد كان حسان محبا للشتم الصريح في جاهليته "و كان من أسباب براعته قدرته على خلق تلك الصورة الفنية الهازلة و ابتكارها، معتمدا في دلك على ذكاءه و بصيرة هجائية، و روح نكهة تنظر إلى الأشياء نظرة ساخرة"[4]

كما تميز حسان بالهجاء اللاذع القارص في مثل أبياته يهجوا بها المغيرة بن شعبة حيث يقول:

لَوْ أَنّ اللُؤْمَ يُنْسَبُ كَانَ عَبدًا قَبِيحَ اللَّوْنِ أَعْوَر مِنْ ثَقِيْف[5]

---

[1] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص232

[2] المرجع نفسه، ص232

[3] يوسف خليف،المرجع السابق، ص53

[4] المرجع نفسه، ص54

[5] يوسف عيسى"حسان بن ثابت حياته و شعره"دار الكتب العلمية، 1990، الطبعة الأولى، بيروت، ص289

و قال يهجو قبيلة مذحج:

بَنَى اللُؤْمُ بَيْتًا عَلَى مَذْحَج، فَكَانَ عَلَى مَذْحَج تَرِتُبا

و لَوْ جَمَعْتَ مَا حَوَتْ مَذْحَج مِنْ النّجْدِ مَا أَثْقَلَ الأَرْنَبَا[1]

فحسان بن ثابت كان في جاهليته شاعر قبيلة أو شاعر الوطن القومي "فلم يكن صاحب غاية أخرى أو مأرب شخص يتخذ هجاءه مطية له ووسيلة إليه"[2]

وكان أكثر هجاءه في الأوس و هم بنو عمومته.

ب-الفخـــــــــر

كان الفخر غريزة و طبيعة غلابة في نفس حسان، غذّها و نمّاها و زادها قوة ذلك النسب العريق، و بتلك الحروب بين الأوس و الخزرج فكان لا بدّ له أن يفخر على أعداء قومه، ففاض شعره، و قد كان فخره ناصعا قويا دافعا رائع النسيج فافتخر بنفسه و بقومه و عائلته، فإذا افتخر بنفسه ذكر حياءه و عفته و سخاء يده في اليسر و العسر حيث يقول:

و بَذَلْتَ ذَا رِحْلي وَكُنْتَ بِه سَمْحًا لَهُمْ في العُسْرِ وَ اليُسْرِ [3]

و يقول أيضا:

إِنِي أُكَارِمُ مَنْ يُكارِمُني و عَلَى المَكَاشِح يَنْتَحِي ظَفَرِي[4]

كما انه افتخر بحبه إلى الغناء و الخمر و السمر أما الفخر بوجود قومه و شجاعتهم و نجدهم يقول في ذلك:

لَنَا الجِفَات الغرّ يَلْمَعْنَ فِي الضَّحَا و أَسْيَافُنَا يَقْطُرْن مِنْ نَجْدِهِ دَمَا[5]

---

[1] يوسف عيسى"المرجع السابق"، ص290

[2] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص282

[3] يوسف عيسى ، المرجع السابق، ص44

[4] المرجع نفسه، ص45

[5] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص249

هكذا إذن أدرك حسان بن ثابت انّه شاعر قومه و عليه الدفاع عنهم و إذاعة مفاخرهم فوقف في وجه شعراء الأوس و تصدى لهم بشعره ، فحسان كان "يرى شاعريته مصدر فخر هو موضع اعتزازه فتغنّى بها في شعره و أطال"[1]

فتراه يناشد قومه بني النجار بما كان لوالده و لآبائه معه من المناقب الفاضلة فيهم و من هذه المآثر قوله:

و أَنْشدكُمْ و البَغْيَ مُهْلِك أَهْلَهُ إِذَا مَا شِتَاءُ المُخِل سضبَت زَعَازِعُهُ

إِذَا هَا الوَلِيدُ لَمْ يَسْقِ شُربة وضَنَ عَلَيْهْ بالصّبُوغ مَرَاضِعُهُ[2]

ج-الغـــــــــزل

استمتع حسان في شبابه بحياة النعيم و اللهو و الغزل فذكر النضـيرة و شـعتاء و عمـرة الأوسية، و ليلى، و أم عمروا، و سعدى، و لميس أم الوليد ، و زينب، حيث أتى ذكرها في ست عشرة قطعة من شعره، و لكن هناك ما يدل على انه لم يتزوج من هؤلاء النسـوة سـوى شـعتاء الأسلمية، و عمرة الأوسية، يقول حسان في النضيرة:

قُلْ للنضِيْرَةِ إِنْ عَرَضْتَ لَهَا لَيْسَ الجوَّادُ بِصَاحِبِ النَّزَر[3]

أم شعتاء فقال فيها:

سَأُهْدِي لَهَا فِي كُلّ عَامٍ قَصِيدَة و أَقْعدُ مُكْتَفيا بِيَثْرب مُكَرّما[4]

أما ليلى فقال فيها:

فَإِنّ لَيْلى قَدْ تَأْتِكَ دِيَارُها و صُنّت بِحَاجَاتِ الفُؤَادِ المُتَيّم[5]

فحسان لطيف الغزل صادق الصبابة، جميل الأداء خالص في غزله، و من ذلك الغزل الخالص قوله:

قَدْ تَعْفَى بعْدَنَا كَاذِب مَا إِنْ به وَ لاَ أَقَارِب

---

[1] ابن قتيبة، المصدر السابق، ص195

[2] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص253

[3] المرجع نفسه، ص272

[4] يوسف عيسى، المرجع نفسه، ص49

[5] المرجع نفسه، ص49

فَيرتْهُ الرّيحُ تُسْقَى به و هَزِيمُ رَعْدِه وأُصِيْب
و لَقَدْ كَانَت تَكُونُ به طفْلَة مَمْكُورَة كَاعِب
وكَلّتُ قَلْبِي بِذِكرَهَا فالهَوَى لِي فَدَح غالِب
لَيْسَ لِي مِنْهَا مُوَاس أَوْلا بَدّ مِمَا يِجَاب الجَالِب
و كَأَنّي حَيْثُ أَذْكُرُها مِنْ حمّيا قَهْوة شَارِب[1]

د-المـــــــدح

يكاد المدح عند حسان يشبه الفخر حيث انه يحمل القيم نفسها، فهو لم يمدح في جاهليتــه إلا أقاربه الغساسنة، و غيرهم من سادات العرب و أشرافهم، و خير مثال على دلك ما جاء في مدحه لابن سلمى النعمان بن المنذر حيث يقول:

أكلفُهَا أَنْ تَدلِجَ اللّيلَ كُلّه تَرُوحُ إِلى ابن سَلمَى و تَغْتَدِي
و أَلْفيتَهُ بَحْرا كَثِيرا فُضُولَه جَوّادًا مَن يَذْكُر له الخَيْرَ يَزْدَدِ[2]

في مدحه لأقاربه قوله في خاله :

لَهُ كَفّ تَفِيض ذَمّا كَفُ يُبَارِي جُودُها سَح الشّمَال[3]

أما حسان لم يكتب ليكسب بشعره لأنه يصنعه من ذلك اعتزازه بنفسه و تجنبه الكذب و النفاق في شعره لذلك فهو يتعامل مع السادة تعامل الندّ للنّد و القرين، ومن أجل ذالك قل المدح في قصائده.

ولم يكن حسان إلا شاعرا كغيره من شعراء الجاهلية الذين جابوا الجزيرة العربية و أطرافها متّصلين بأولى النفوذ و الجاه قاصدين الأمراء و القادة تقربّا، فقبل إسلامه كان شاعرا قبليا يحاول أن يرى مصالح قومه كما كان يفعل النابغة الذبياني تماما.

---

[1] شوقي رياض احمد"شعر السيرة النبوية"دار المأمون للطباعة و النشر، الطبعة الأولى،القاهرة187، ص52
[2] يوسف عيسى، المرجع السابق، ص53
[3] المرجع نفسه، ص53

فحسّان كان يتصل بالقوى المؤثرة في الحياة السياسية في ذلك العصر وذلك بسبب الخلاف بين قومه الأوس وبين الخزرج

4. وصف الخمر عند حسان:

لقد أبدع حسان في وصف الخمر وبيّن شدة آثارها في النفوس وفي الأجسام، ذلك لأنه على ما يبدوا كان من بين عشّاقها، ولأنه شهد العديد من مجالس اللهو بأرض الشّام. وهذه إحدى روائع القصائد التي يصف فيها الخمر وشاربها وحتّى ساقيها كما أنه يصف النّاقة مستطردا إلى ذلك من غزله بشعتاء أيضا حيث يقول:

كَأسًا إذْا ما الشّيخ وإلَى بها خَمسًا برْدَى بَرَاءَ الغُلاَمِ

مِنْ خَمْر بَيْسَان تخيَّرتُهَا بِرِيَاقَةِ تورِثُ فَتْرَ العِظَامِ[1]

بعد أن وصف الخمر وأثرها وصف الساقي فقال:

يَسْقِي بها أَخْمر وبَرْنَس مُخْتلف الفَخر شَدّيد الخَزَامِ

أَرْوعُ للدّعوَة مُسْتَعجِلُ لَمْ يَنْتَهِ الشّأنُ خَفِيف القِيَامِ[2]

أحب حسان الخمر حبا عظيما، ورأى فيها أنها تخلق شاربها خلقا جديدا، وبفضلها يصير البخيل إنسانا كريما وفي ذلك يقول:

ومُسْتَرِقُ النّخَامَةِ مُسْتَكِين لِوَقعِ الكَأسِ مُخْتَلِسُ البَيَانِ

خَلِفتُ له بما حَجَّت قُرَيش وكُلّ مُشَعشَع مَا لخَمْرُ آنِ

لِتَصْطبحنَّ بحنّ وإنْ أَعْرَضَت عَنْهَا و لَو بحَبيَتِهِ سَقَانِي

فَطَافَتْ طَوْفتَين فَقَال زِدْني لَوَدَبْنا في الأخَادِع والبَنَانِ[3]

---

[1] يوسف عيسى ، المرجع السابق، ص289

[2] المرجع نفسه، ص291

[3] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص272

هنا حسان يصور صاحبه وقد أخذ في التراب جاف الحلق مستسلما عاجزا عن التكلم، فحلف عليه بالبيت المعظم والخمر المشعشع، ليشربها صباحا " ويحدث من وفاء صاحبه أنه لو كان في مثل حاله لسقاه فلما شرب اثنين قال له زدني، وقد دبت الخمر في أخادعه فمال عنقه وفي جنانه فأسرخت أصابعه"[1]

ولَقَدْ شَرِبتُ الخَمرَ في حَانُوتَها صَهْبَاءٌ صَافِيَة كَطُعمِ الفُلْفُلِ

يَسْعَى عَليّ بِكَأسِها مُتنطِفِ فَيعلنِي مِنْهَا و لَوْ لَمْ أَنْهَلِ

إنّ الّتي نَاوَلتْنِي فَرَددتُها قُتلَت–قُتلَت– فَهاتِهَا لم تَقْتلِ[2]

حسان يصور الساقي وهو غلام يضع قرطا في أذنه يأتي بالخمر إليه غلاما في خفة فيسقيه مرة بعد مرة ويقص قصة تلك الخمر الصافية التي يشبهها بالفلفل في طعمها وكيف شربها صار خاص غير ممزوجة بعد أن ردها على الساقي حين قتلها بالماء.

لم يكن حسان إلا شاعرا كغيره من الشعراء الجاهليين الذين جابوا الجزيرة العربية وأطرافها متصلين بأصحاب الجاه قصدين الأمراء والقادة رغدا وتقربا فقبل الإسلام كان حسان شاعرا قبليا كما أسلفنا، يحاول أن يرعى مصالح قومه كما كان يفعل النابغة الذبياني تماما، فحسان كان يتصل بالقوى المأثرة في الحياة السياسية في ذلك العصر.

---

[1] محمد الطاهر درويش" المرجع السابق"، ص273

[2] يوسف حليف، المرجع السابق، ص273

حسان بعد الإسلام و أثر القرآن في شعره

1-إســـــلامه:

دخل قوم حسان [الخزرج] الإسلام وصدّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا بمجرد أنّه دعاهم إلى هذا الدين الجديد، فاختفى الخلاف تماما بين الأوس والخزرج بظهور الإسلام الذي وحّد شملهم.

أما إسلام حسان فقد طال لبعض الوقت بعد إسلام قومه لأنه كما يقال كان مشغول بما يحدث بين الأوس والخزرج كما أنه كان مشغولا بمجالس الخمر وحياة اللهو واللذات، إلا أنه سرعان ما أدرك الإسلام بعدما لحقته الغيرة على كرامة قومه الذين تعرّضوا للإهانة والإعتقال على يد القريشيين كاعتقالهم لسعيد بن عبادة، مما اضطرّ حسان بالتفكير بالدين الجديد الذي سبقه إليه قومه فأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم مع سائر الناس الذين تهافتوا عليه مبايعين ومؤمنين بالدين الجديد وذلك حين دخل النبي والمسلمين إلى يثرب وقال حين أسلم:

شَهِدْتُ بِإذنِ الله أنّ محمّـــــــدًا رَسُولُ الذي فَوْقَ السّمواتِ مِنْ عَلُ
وأَنَا أَبا يَحْيَى ويَحْيَى كِلَيهمَـــــا لَه عَمَــل فِي دِيْنِهِ مُتَقَبَّـــــلُ
وأنّ التي بالسَّدّ مِنْ بَطْنِ نَخْلَـــــة ومِنْ دانها فَل منَ الخَيْــرِ مَعْــــــزِلُ
وإنّ الذي عَادَى اليَهُودَ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولٌ أَتَى مِن عِنْدِ ذي العَرْشِ مُرْسَلُ
وإنّ أَخَا الأَحْقاف يَعْــذِلُــــونَه يُجَاهِــدُ في ذَات الإِلَه ويَعْــــــدِلُ[1]

فقال النّبي صلى الله عليه وسلم:« أنا أشهد معك».

[1] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص160

2-أغراض شعر حسان بن ثابت بعد إسلامه :

إلتزم حسان بمبادئ الدعوة المحمدية منذ إسلامه، حيث نلمح في شعره الدقة في التعبير بعد أن عمر الإيمان قلوب الشعراء، فالمعاني شديدة التأثير بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وكذا وجود الألفاظ البدوية الصحراوية، ومهما استقلت أبيات حسان بن ثابت بأفكار وموضوعات خاصة فأن كل منها يعبر عن موضوع الدعوة التي أحدثت أكبر تغيير فكري في حياة الناس وأسلوب معاشهم، ومن ثمّ نلاحظ أن أغراض حسّان في الشعر بقيت نفسها لكن بأسلوب مختلف.

أ-الهجـــــــاء:

تميز هجاء حسان بالنزعة الجاهلية حيث أنه هجا المشركين بالنقص من صفات المروءة والضلال وترك الدين، فقد كان أسلوبه يتمثل في فصل الشخص عن القبيلة القريشية فجعله طائر غريب ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعنا شنيعا، ثم يسد سهامه في أخلاق الرجل فيمزقها تمزيقا في إقناع شديد.

ولما كان شعر حسان يغيض قريش كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لكعب:" أنت تحسن صنعة الحرب وحسان للهجاء بالمثالب".فهجاؤه مبني على الحقائق الدامغة.[1]

وحسان ممن وضعوا أساس النقائض في الشعر الجاهلي والإسلامي وسبق إلى الشعر الديني، وكان هدف النقائض وغيرها من يشعره تأييد القبيلة والفخر بها ووصف مراجعها وتأريخ حياتها الخاصة، أو الكلام عن علاقتها بغيرها في السلم وفي الحرب، مع الإشادة بمواقفها وأثارها فكان شعره ذو صنعة تاريخية لذكره غزوات النبي قال في غزة خيبر:

بِئْسَ مَا قَاتَلت خَيَابِرَ عَـــــمّا جَمَعُوا من مُزَارِع وَنَخِيْلِ

كَرِهُوا المَوتَ فَسَاتِبيحٌ حَماهُم وأَقَرُّوا فِعْلَ الذّمِيْمِ الذّلِيْلِ

أَمِنَ المَوْتِ يَهِيبُونَ فإنَّ المَـــــوْ تَ مَوتُ الهُزَالِ غَيْرَ جَمِيْلِ[2]

---

[1] عبد الرحمان خليل إبراهيم،المرجع السابق، ص263

[2] ابن كثير الدمشقي، المصدر السابق، ص180-181

كما أنّه ذكر في أشعاره أسماء الصحابة والمشركون فهو شاعر سياسي في هجائه، ديني في مدح النبي، تاريخي بذكر الوقائع متأثر بالقرآن الكريم في ألفاظه مصورا أهدافه ورسالة الإسلام، ومن ثمّ كانت الروح الإسلامية تشيع في أبياته وتلمع في قصائده من أولها إلى آخرها كقوله في هذا البيت:

يُنَادِيهم رَسُولُ الله لَمّا قَذفنَاهُم كَبَاكِبَ في القُلَيْبِ[1]

وقد قيل عن حسان أنه يفضل الشعراء بثلاثة: شاعر الأنصار في الجاهلية، والنبي في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، وهو شاعر صدّق البعثة النبوية وذكرها، ووصف الشمائل كما عارض ووقف في وجه منكري النبوة ومكذبيها حيث قال:

أَلَمْ تَجِدُوا كَلاَمي كَانَ حَقّ وأَمْرُ الله يُؤخَذُ بالقُلُـــــوبِ

فَمَا نَطَقُوا ولَو نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وكُنْتَ ذَا رَأيٍ مُصِيبٍ[2]

فحسان أدخل شيء جديد في الهجاء ، الذي كان قبلا يقوم بذكر الانكسارات وذكر بعض عيوب سواء كانت خارجية أو داخلية مُحطّة من قيمة الأنساب مثل: البخل وسواد الجلد. أما الذين هجاهم حسان فأنساب النبي، وأعداء الإنسان أهل بيته.

وبما أن حسان أمضى كل عمره في رعاية مصالح قومه وعاش في سبيل الدين الجديد فإنه أسهم في المعارك الحربية بلسانه خاصة في معارك الفتح، فالهجاء يكاد يمثل شعر حسان بكامله بعد إسلامه وفي الأبيات يهجوا حسان بني الحماس وهم من الحرث بن كعب حيث يقول فيهم:

أمّا الحَمَاس فإنّي غَيْ* شَاتِمهمْ لاَ هُمْ كِرَامٌ ولا عِرْضٌ لَهُمْ خَطَرْ

كَأنّ رِيْحُهُم في النّاسِ، إذَا بَرَزُوا رِيحُ الكِلاَبِ إذَا مَا بَلّها المَطَرْ

أوْلاَد خَام فَلَنْ تَلْقَى لَهُمْ شَبهًا إلاّ السّيُوف عَلَى أَكْتَافِهَا الشَعرْ[3]

و هاهو يهجوا بني هوزان بن منصور حيث يقول:

---

[1] عبد الرحمان خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص275

[2] المرجع نفسه، ص275

[3] فؤاد افرام البستاني، المرجع السابق، ص178

أَبْلِغْ هُوزَانَ أَعْلاَهَا و أَسفَلَهَا أَنِّ لَسْتُ هَاجِيهَا إلاَ بِمَا فِيْهَا

قَبِيلةُ الأُمِ الأحْيَاء أَكْرَمُهَا و أغْدَرُ النّاس بالجِيرَان وَافِيهَا

و شَرُمنْ يحظر الأمصَارِحَاضِرُها و شَرُ بَادِيَةِ الأَعرَابِ بَادِيهَا[1]

و هكذا يحاول حسان في شعره الهجائي إن يذل الأعداء بكافة الوسائل مستخدما شاعريته القوية التي تنصب على الأعداء انصباب الصقر على الفريسة يقول في ذلك:

أَلَسْت بِنَعمِ الجَارِ يُؤَلفُ بَيْتَه لِذِي العُرْف،ذَا مَال كَثِير وَ معْدمَا[2]

ب-الفـــخر

و بالإضافة إلى الهجاء كتب حسان في الفخر الذي لا نجد في معاصريه من يساويه، فالفخر كان محمور شعره وقطب رحاه و غرضه الأصيل و فنه المحبوب، و من الفخر امتدت لمحات الجمال في شعره و ما يمكن الإشارة إليه أم الروح الجاهلية في التفاخر بالأنساب و التعظم بالمآثر غالبة عليه في فخره يقول مفتخرا بقوله:

و أَخِي مِن الجِن البَصِير إِذَا حَاكَ الكَلاَمُ بِأَحسَنِ الحِبْر

قَومِي بَنِي النّجارِ رفْدَهُم حَسنْ وَهْم لِي حَاضِر و النَّصْر[3]

يقول أيضا في قصيدة أخرى مفتخرا بقومه:

أُولئِكَ قَوْمِي فَإنْ تَسْأَلي كِرامُ إِذَا الضّيفُ يَومًا أَلَم

عِظَام القُدُور لأَيْسارِهِم يَكُبونَ فِيهَا المُسِن السَّنَم[4]

فالفخر عند حسان بن ثابت جاء في ثنايا قصائده و عبر عن مواقف عديدة فرضت عليه مثل ذلك الفخر ردّا على الأعداء و معارضة لما يصدر عن شعرهم من انتقاد لقومه أو لما يؤمن به من حق و صواب، و مما ساعده على قول الشعر في هذا الغرض هو شعوره بمجد أبائه و مفاخر قومه خاصة و أن

---

[1] محمد محمد حسين المرجع السابق، ص247

[2] محمد الطاهر درويش،المرجع السابق، 247-248

[3] يوسف عيسى، المرجع السابق، ص45

[4] المرجع نفسه، ص46

العداوة و البغضاء كانت سائدة بين قومه الخزرج و الأوس، فغريزة الفخر كانت قاهرة في نفس حسان خاصة و انه كان ذا جاه و نسب عريق.

يقول في قصيدته يوم أحد:

منعَ النّوْمُ بالعِشَاء الهُمُومَ و خَيَال إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ[1]

فالبرغم من تسابق الناس إلى الإسلام متنافسين فيه يتفاخرون بما استحدثوا إلا أن حسان ظل يتلذذ بالتعظم بما كان يقول يوم أحد:

أَلاَ بَلِّغْ المُستَمِعينَ بِوَقعَة و تُخف لَها شَمْطُ النِّسَاءِ القَوَاعِدِ[2]

وعلى كل حال فالفخر عنده لا مجال النفس أو القبيلة فهو إذن فخر يميل أكثر إلى الجاهلية مثل الافتخار بنفسه.

ج-الغـــــــــزل

قلّ الغزل عند حسان بمجرد دخوله إلى الإسلام لكن من الملاحظ في مجموعة أبياته الغزلية انه لم يكن هناك فارق بين الغزل الجاهلي و الإسلامي، فالفارق الوحيد هو انه اعرض عن ذكر المشاهد الغسّانية، يقول في غزوة الطائف:

لَهَا عَيْن كَحْلاَء المدّمِيع مُطفَل تُرَاعِي غز ألاّ يَرْتعِي بالخَمَائِلِ[3]

فهذا قريب في قوله في الجاهلية:

هَلْ هِيَ إلاّ ظَبْيَة مُطَفّل ما لَفّهَا السّدْرُ بَنْعَفي بِرَامِ

تُزْجِي غزَالاً فَاتِرًا طَرفُه مُقَارِب الخَطْو ضَعِيفُ البِغَامِ[4]

يعود ذلك إلى أن الطبيعة لم تتغير إما الاجتماعية لم يكد تتأثر بما جاء الإسلام به في مثل هذه السرعة الخاطفة.

---

[1] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص361

[2] المرجع نفسه، ص362

[3] يوسف عيسى، المرجع نفسه، ص52

[4] المرجع نفسه، ص52

د-المـــــــدح

أما المدح عند حسان ليس بعيدا عن الفخر لأنه يتناول القيم نفسها، "فالمدح هو تمجيد المزايا و الصفات و تبيان لما يمتلكه الممدوح، و حسان ليس شاعر مديح ، لان نفسيته المتعالية و سيادته بين قومه ز شعوره بالعزة و الشرف جعله يميل عن المديح إلى الفخر، و المتتبع لأشعاره سوف يلاحظ أن المديح لا يمثل إلا حيزا ضئيلا من أشعاره"[1]

فالمدح عند حسان بعد إسلامه انتشرت فيه الألفاظ والعبارات الإسلامية التي تتردد في القران الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وخطبه، فالمدح عنده أصبحت تديره المعاني الإسلامية والقيم والمثل العليا التي جاء بها الإسلام وخير مثال على ذلك هذه الأبيات التي يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول فيها :

أغَرُّ،عَلَيْهِ للنُّـــبُوةِ خَـــــاتَمٌ مِنَ الله مَشْهودُ يَلوحُ وَيَشْهَدُ

وضَمّ الإلهَ اِسم النّبي إلى اِسْمِه إذَا قَالَ في الخَمْسِ المُؤَذِنُ أَشْهَدُ

وشَقَّ لَه مِن أسمِه لِيُجِلّهُ فَذُو العَرْشِ مَحمُود،و هَذَا مُحَمّــدُ

نَبي أتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وفَتْــرَة مِنَ الرّسُل،والأَوْثان في الأرْضِ تُعْبدُ

فَأمْسَى سِرَاجًا مُسْتنيرًا وهَادِيًا يَلُوحُ كمَا لاَحَ الصّقِيلُ المُهَـــنّدُ

وأنْذَرنَا نَارًا، وبشّرَ جنّــة وعَلّمَنَا الإسْلاَمَ،فالله نَحْمَـــــدُ

وأَنتَ إِله الخَلقِ رَبي وخَالِقي بِذلكَ ما عُمِرتُ في النّاسِ أَشْهَدُ[2]

إن هذه الأبيات تدور في فضاء إسلامي خالص بعيد كل البعد عن الفضاء الجاهلي الذي كان يدور فيه المدح القديم،وكما ظهر في مدحه أيضا ذكر" إيثار الله للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، والمدح بالهوية والإيمان والعبادة،وبصلابة العقيدة والتضحية في سبيل الله" [3]

---

[1] يوسف حليف، المرجع السابق، ص51-52

[2] المرجع نفسه، ص52

[3] حاتم غنيم"شعراء الدعوة الإسلامية في عهد الرسول" مطبعة التوفيق، الاردن، 1982، ص24

ه- الرثـــــــــاء

ونمضي مع حسان بن ثابت إلى غرض أخر وهو الرثاء الذي كان حسان صادقا فيه أشد الصدق، فقد ظهرت المرارة والألم وظهر التأثر البالغ الذي لا يقتصر على افتقاد الإنسان بل على إفتقاد كل ما يمثله وخاصة إذا كان الإنسان مثالا كاملا ونورا وهاديا كالرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال حسان :

لَقَدْ غَيَّبُوا حِلمًا ورَحْمةً عَشِيَة عُلُوّه الثّرَى لاَ يُوسَدُ[1]

ويقول أيضا:

ومَا فقَدَ المَاضُونَ مثِلَ مُحمّد ولاَ مِثلهُ حَتى القِيَامة يُفْقدُ[2]

و قد بلغ رثاءه الإسلامي ثمانيا و عشرون قطعة من شعره و هو لم يرث أحدا من قبيلته أو ذوي قرابته سواء في جاهليته أو ففي إسلامه إلا بدعي الأخوة الدينية و الرابطة الإسلامية عدا بنتا له و التي بكاها بأبيات عليلة كما له لربع مرات في الرسول صلى الله عليه وسلم وواحدة في عمر بن الخطاب و ثمان في عثمان و خمس في قتلى الرجيع، و ثلاث مؤتة و اثنان في قتلى بئر معونة، و اثنتان في حمزة وواحدة في بعض شهداء بدر، وواحدة في المطعيم ابن عدي.

و يقول في رثاء حمزة بن عبد المطلب شهيد احد:

هلْ تَعرِفُ الدّار عَفّا رَسْمهَا بعْدكَ ثَوبُ المسَبِل الهَاطِلِ

بَينَ السّرَادِيح فإدْمَانَة فَمدْفَعُ الرّوحَاءِ في حَائِلِ[3]

حتى غلى أخرها فيقول:

مالشَهيدُ بَيْنَ أرْمَاحِكُم شُلّت يَدَي وَحْشي مِنْ قَاتِلِ

صَلّى عَلَيْكَ الله في جَنّةٍ عَالِيَةٍ مُكَرّمةِ الدّاخِـــــل[4]

---

[1] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص440

[2] يوسف عيسى، المصدر السابق، ص91

[3] محمد الطاهر درويش المرجع السابق ، ص445

[4] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص445

كما ظهر في رثاءه ذكر الشهادة و الجنة التي وعد الله بها الشهداء و المتقين يقول فيها:

فَإنّ أَبَاكَ الخيُر حَمزَة فَأعْلَمِي وَزيْرَ رَسُول الله خَيْرُ وَزِيـــرٍ

دَعَا إِلَه الحَقِّ ذُوا العَرشِ دَعْوَة إِلى جَنّة يَرْضَى بِها و سُـــرُورِ

فَـــذلِكَ مَا كُنَا و نَرْتَجي يا حَمزة يَوْمَ الحَشْرِ خيرُ مَصيرٍ[1]

3-أثر القرآن في شعر حسان بن ثابت

لقد شهدت الحيات العربية نقلة واسعة بعد مجيء الإسلام و انتشار الدعوة المباركة، حيث نرى الإسلام قد أحيا في النفوس التطلع إلى أبيات جديدة و مفاهيم جديدة و حضارات لم يكن العرب قد اعتادوا عليها،كما انه غرس فيها مفاهيم و قيم شرائع جديدة كان لها ابعد الأثر في ذلك التغيير الذي أصاب حياة العرب، ولا شك فان حسن ابن البيئة الإسلامية الجديدة و احد الذين عاصروا الدعوة الجديدة و ناصروها بلسانهم النصر العظيم كان ممن تأثروا بتلك الدعوة و تمسكوا بتعاليمها و قيمها في شعره الإسلامي.

لقد أكثر حسان في أشعاره من الاقتباس من الآيات القرآنية و تضمينها قصائده، و سوف نستعرض بعض من أبياته لنلمح فيها ذلك التأثر يقول حسان:

فَأذْهَبَ خَبِيْبُ جَزَاكَ الله طَيبَة و جَنّة الخُلدِ عِنْدَ الحُورِ في الرّفْقِ[2]

فقد أخذ معنى الآية المباركة في قوله تعالى:﴿وَحُورٌ عِينٌ(22)كَأَمْثَالِ اللُؤْلُؤِ المَكْنُونِ(23)جَزَاءًا بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ(24)﴾[3]

و أخذ معنى وجود الملائكة في قوله:

مَاذَا تَقُولوُن إنْ قَال النّبي لَكُم حَيثُ تَقُولُ المَلاَئكَة الأبْرَار في الأُفُقِ[4]

---

[1] حاتم غنيم، المرجع السابق، ص25

[2] يوسف عيسى، المرجع السابق، ص117

[3] سورة الواقعة، الآية22-23-24

[4] يوسف عيسى المرجع السابق، ص118

من قوله تعالى:﴿وَ المَلَكُ عَلىَ أَرْجَائِهَا و يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَة﴾[1]

وفي قوله:

عَزِيزٌ علَيهِ أنْ يحُورُوا عَنِ الهُدَى حَرِيصٌ أَنْ يَسْتَقِيمُوا و يَهتَدُوا

عَطُوفٌ عَليهِمْ ولاَ يُثني جَنَاحهُ إِلَى كَنَفٍ يحْنُوا عليهِمْ و يَمْهَدُ[2]

فقد أخذ معنى البيتين من الأية الكريمة:

قال تعالى:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ بالمُؤمِنِيْنَ رَءُوفٌ رَحِيْم﴾[3]

و في قوله :

عَيْبٌ بالِقَومِ مِنْ طُولٍ و عِظَمٍ جِسْمُ البِغالِ و أَحْلاَمُ العَصَافِيرِ

كَأَنّهُم خَشَب جَوْفٌ مَكَاسِرهُ مُثَقَبٌ فِيْهِ أرْوَاحُ الأَعَاصِيرِ[4]

فقد اخذ معناه من قوله عز و جل:﴿كَأَنّهُم خُشُبٌ مُسَنّدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلُ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُم العَدُو فَأحْذَرهُمْ قَاتَلُهُم أَنّى يُوفَكُونَ﴾[5]

و هكذا فإننا في هذه الأمثلة التي اقتطفناها من أمثالها نستطيع أن نقف على تأثر حسان بالقران الكريم و الأخذ من معانيه المباركة و تضمينها لأشعاره، و كان حسان بهذا التأثر الكبير الواسع رغم قلة الزمن الذي عاش فيه واحدا من ابرز الشعراء الذين استلهموا تعاليم الدعوة الجديدة حتى انه قد بلغ في ذلك شوطا بعيدا لم يستطع أن يبلغه احد غيره من الشعراء المعاصرين ، وبذلك يكون قد فتح الطرق أمام الشعراء لاستلهام الآيات الكريمة و تزيين الأشعار بقبس من نورها المبارك.

---

[1] سورة الحاقة، الاية17

[2] محمد الطاهر درويش، المرجع السابق، ص489

[3] سورة التوبة، الاية128

[4] محمد الطاهر درويش المرجع نفسه، ص489

[5] سورة المنافقون، الآية4

-ملازمته النبي صلى الله عليه وسلم

كان الشعر ديوان العرب كما أسلفنا من قبل و عليه تقوم العصبية، فألغاها الإسلام و جاءت سورة الشعراء لقوله تعالى:﴿**و الشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمْ الْغَاوُونَ**﴾.[1]

و كما أسلفنا فأكدت الإلغاء و لكن بعد مدة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم سماع الشعر و أثاب عليه، و كان للدعوة الإسلامية أنصار و أضداد فكان من الشعراء من هم معارضون الرسول الكريم ومن هم مناصرون له، فحسان بن ثابت كان من المناصرين له حتى لقب بشاعر النبي صلى الله عليه وسلم.

و لقد أعدّ الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء و اختارهم ليكونوا قوة الإعلام و أجهزة نشر كما اعد من قبل المسلمين ليكونوا جنوده و إبطال قتال، فكان علي و حمزة رضي الله عنهما على رأس جيش الفتح، و حسان على رأس جيش الفكر يدافع عن الرسول و الإسلام كما يدافع عن صحابته .

و مما يدل على ملازمته للنبي الكريم أنّه بنى له منبر في مسجده صلى الله عليه وسلم ينشد عليه شعره الإسلامي.

5-منزلـــــــــته

لقد كان حسان من بين الشعراء الذين تركوا في الشعر تراثا ضخما و أثرا بالغا ، و هو كغيره من الشعراء له و عليه، فإذا ما تصفحنا أشعاره رضي الله عنه فإننا سوف نجد المنظوم الجيد كما نجد الكثير من المأخذ و العيوب فقد اعتبره صاحب طبقات الشعراء واحد من الفحول الخمسة الإسلاميين و قال منوها بشاعريته:"و أشعرهم حسان بن ثابت هو كثير الشعر جيده".[2]

و ذكر الأصمعي حسان بن ثابت و ميزه بين شعره في الجاهلية و الإسلام فقال:"فحل من فحول الجاهلية".[3]

---

[1] سورة الشعراء، الاية224

[2] يوسف عيسى، المرجع السابق، ص121

[3] المرجع نفسه، ص121

فلما جاء الإسلام سقط شعره و قال مرة أخرى:"شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر"[1]

و يرى المزرّد أخو الشمّاخ في حسان مثالا للشاعر و يستكثر على كعب بن زهير أن يدعي لنفسه وللحطيئة سبقا في ميدان القوافي فأين هو من حسان بن ثابت؟ ويقول:

فَلَسْتَ كحَسّان الحُسَام بن ثَابِت ولَسْتَ كَشَمّاخ ولاَ كَالمخَبّلْ

فَبَأسُكَ أنْ خَلَفْتَني خَلْقَ شَاعِر مِنَ النّاسِ لاَ أَلْفِي ولاَ أتنخل[2]

وقال أبو عمر بن العلاء:" أشعر أهل الحضر حسان بن ثابت"[3]

وقال أبو عبيدة:" أجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر"[4]

هذه بعض الآراء في شعر حسان صدرت عن مجموعة من النقاد والشعراء وأهل اللغة وهي جميعها آراء تنوه بفضله ومنزلته.

وهكذا فقد تبوء حسان مكانة رفيعة في دنيا الشعر وقد كان إلى جانب ذلك عفيفا جوادا صاحب الأخلاق الرفيعة والمزايا الإنسانية الرائعة ورجل خلق وفضيلة وحسن ودين، فكان لهذه الفضائل كلها أثر في شعره، وصار صيته في زمنه، وشرق ذكره وغرّب.

اقتحم اسمه الممالك وزاحم فحول الشعراء، ثم لابد في النهاية ان نذكر أنه له فضل في حمل لواء الرسالة المحمدية واختيار الرسول صلى اله عليه وسلم له ليكون شاعره الخاص، وهذا الفضل فقط يكفيه لأن يكون مصاف كبار الشعراء.

---

[1] محمد الطاهر درويش،المرجع السابق، ص492

[2] المرجع نفسه، ص493

[3] حمانة يحي الكعكي"شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري" دار الفكر العربي، بيروت، ص9

[4] المرجع نفسه،ص9

الخاتمة

نختتم موضوعنا هذا متمنيين أن يخدم كل قارئ تصفح أوراقه، و كذا أن يغير من أفكار كل من كان ينظر إلى الشعر من زاوية السلب، لأن الشعر الإسلامي كان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الدعوة الإسلامية، و لهذا كان دوره المشهود خلال عصور العروبة المتعاقبة في الدفاع عن النبي- صلى الله عليه وسلم- فكانت قصائد الشعراء المنبر الإعلامي للدعوة المحمدية.

و قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

- القرآن الكريم نعت الشعراء الغاوين بصفات بعيدة عن الواقع الإسلامي، و استثنى الشعراء الذين مدحوا الإسلام و المسلمين، ووقفوا إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم و نصرة دعوته.
- نفى الله صفة الشاعرية عن رسوله الكريم، و عن القرآن أن يكون شعرا.
- جاء الحديث في شعر صدر الإسلام عن النبي الكريم و شخصيته الإسلامية متوافقا مع ما جاء في القرآن الكريم.
- الخلفاء الراشدون كانوا يقولون الشعر و يتذوقونه و ينظمونه حبا للّهو لرسوله صلى الله عليه وسلم.
- الشعراء المسلمون هم الذين عاشوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم أحبوا العقيدة الإسلامية و أعجبوا بشخصية الرسول الكريم و بدعوته التي جاءت إلى الناس كافة، فجاء دفاعهم عنه بعفوية صادقة، كما جاء حديثهم في شعرهم منسجما مع مبادئ الدين الإسلامي .
- دور الشعر في الحياة الإسلامية تأكيدا بوحدة الله و الدعوة إلى الأخوة بين الإنسانية.
- مشاركة الشعر في التصدي لأعداء الله و رسوله الكريم فكان الجرح الذي لا يلتئم على أذان و مسامع الكفار و المشركين.
- تصدي الشعراء المشركين للآفات و الخرافات التي أضحت داء يستعصى علاجه و التي كانت تسود المجتمع خاصة الخمور و الشعوذة و غيرها.
- الشعر الإسلامي بمثابة المفسر و المترجم و المبسط لبعض الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة .

- اتضح لنا أن حسان بن ثابت و الذي أردناه نموذجا لموضوعنا قد اكتسب الشعر الإسلامي رقة في التعبير ، بعد أن عمر الإيمان قلوب الشعراء.
- أنّ شعر حسان بن ثابت جاء يعبر عن موضوع الدعوة و فكرة واحدة هي فكرة الدين الجديد التي أحدثت أكبر تغيير فكري في حياة الناس و أسلوب معاشهم.
- و من خلال دراستنا لشعره الإسلامي، تبين لنا انه شعر عابق بالعاطفة الصادقة، و بالإيمان بالله تعالى ربًا و بالإسلام دينا و بمحمد نبيا و رسولا ، لان معظم قصائده تدور حول محور واحد و هو الدفاع عن الإسلام كرسالة سماوية ، و عن محمد-صلى الله عليه وسلم-رسولا أرسله الله لهداية البشرية جمعاء و كذلك الدفاع عن المسلمين الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم.
- أنّ شعر حسّان بن ثابت يشكل سجلا تاريخيا غنيا بالمعلومات التاريخية ذاكرا أسماء المقاتلين و الشهداء واصفا المعارك الإسلامية أدّق وصف .
- إن شعر حسان بن ثابت الإسلامي أظهر شاعرية فذة لأنه كان صادرا عن قلب المؤمن العامر بالأيمان المحب للرسول-صلى الله عليه وسلم-، مخلص للدعوة الإسلامية مما جعل شعره يتميز بصدق العاطفة و رقة الشعور كما كان بعيد عن الصناعة الشعرية و التصنع في اتخاذ المواقف.

و هكذا لكل بداية نهاية، و خير العمل ما حسن، و خير الكلام ما قل و دل، و بعد هذا الجهد المتواضع نتمنى أن نكون وفقنا في سرد العناصر السابقة سردا لا ملل فيه و لا تقصير و أن نكون وفقنا في تبليغ رسالتنا التي سبق الشعر و أن بلّغها رسالة لطالما حماها شعراء الإسلام و نبينا الكريم .

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن الإمام نافع

1) الأب لويس شيجو اليسوعي«شعراء النصرانية بعد الإسلام»دار الشرق،الطبعة الثانية،بيروت

2) إبراهيم الكيلاني«تاريخ الأدب العربي» ديوان المطبوعات الجزائرية،الجزء الأول، الجزائر

3) ابن ربيعة لبيد«الديوان»دار المعرفة،بيروت،الطبعة الأولى،2004م

4) ابن سلام الجمحي محمد«طبقات فحول الشعراء»دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت

5) ابن قتيبة«الشعر و الشعراء» دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية، بيروت،1987

6) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (700- 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999م. ج8

7) ابن كثير الدمشقي «البداية و النهاية»المجلد الثاني، الجزء الثالث،دار البيان الحديثة،الطبعة الأولى2003م،بيروت .

8) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي«جمهرة أشعار العرب»دار المكتبة الهلال،ط2،بيروت 1991

9) بهجت عبد الغفور ألحديثي «أثر الإسلام في شعر الغزل و تطوره في العصرين الإسلامي و الأموي »مجلة أفاق للتراث و الثقافة،العدد34،"مصر2001

10)بيوض إبراهيم بن عمر «في رحاب القران تفسير سوريتي الفرقان و الشعراء»الجزء السابع،المطبعة العربية،غرداية1999م .

11) د السيد حنفي حسانين «ديوان حسان بن ثابت» دار المعارف،1983

12)ديوان حسان بن ثابت الأنصاري دار صادر بيروت، عام 1978

13)الزمخشري«الكشاف»تحقيق عبد الرزاق مهدي،دار إحياءا لتراث العربي، بيروت،الطبعة الأولى،1997م،الجزء الثالث

14)سامي المكي العاني«الإسلام و الشعر» عالم المعرفة ،طبعة 1996، الكويت

15)السيوطي عبد الرحمن ابن الكمال جلال الدين« الدر المنثور في التفسير بالمأثور» دار الفكر، بيروت،1993م، ج6

16)شوقي رياض أحمد «شعر السيرة النبوية» دار المأمون لطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة1987

17)الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي« جامع البيان في تأويل القرآن»، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، اط1،2000م، ج19

18)الطفيل الغنوي«الديوان»تحقيق حسان فلاح،دار صادر،بيروت،الطبعة الأولى،1997م

عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة :الأولى.

19)عبد الرحمان إبراهيم خليل«دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية» الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر

20)عبد الرحمن خليل إبراهيم«مقدمات في تاريخ أدبنا القديم نصوص شعرية و نثرية»دار قباء للنشر و التوزيع،القاهرة

21)عبد القاهر الجرجاني«دلائل الإعجاز»مطبعة الفجالة الجديدة،ط1،القاهرة1969

22) العسقلاني :ابن حجر« فتح الباري لشرح صحيح البخاري»، تحقيق : طه

23)قدور إبراهيم المهاجي « دراسات في الأدب العربي قبل الإسلام» ديوان المطبوعات الجامعية الطبعة الأولى وهران 1991

24)القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج « الجامع لأحكام القرآن »دار إحياء التراث العربي بيروت1966م، ج13

25)قطب سيد«التصوير الفني في القران الكريم» دار الشروق،بيروت،الطبعة الثامنة،1983م

26)القلقشندي«صبح الأعشى في صناعة الإنشا» دار الفكر، دمشق،1987م،

27)القيرواني«زهر الآداب و ثمر الألباب»دار الكتب العلمية،بيروت،1997م

28)المبرد«الكامل في اللغة و الأدب»دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1996م

29)محمد الطاهر درويش«حسان بن ثابت» دار المعارف، مصر،دار الطبعة

30)محمد بن علي « فتح القدير»، تعليق هشام البخاري، المكتبة العصرية بيروت،د.ت، ج4

31)محمد علي الصباح«كعب بن زهير حياته و شعره» دار الكتب العلمية،ط1،1990،بيروت

32) محمد مهداوي«شعر الغزوات في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم» أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي،2002-2003م

33)محمود محمد محمود حسن نصار«صحيح البخاري» دار الكتب العلمية

34)معروف نايف«الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين»دار النفائس،بيروت، الطبعة الأولى.

35)مي يوسف خليف«مقدمات في تاريخ أدبنا القديم نصوص شعرية و نثرية» دار قباء للتوزيع و النشر، القاهرة

36)هدارة محمد«الشعر في صدر الإسلامي و العصر الأموي»دار النهضة العربية،بيروت،1995م

37)يوسف خليف «تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي»نشر و توزيع القاهرة

-المقدمـــة

-المدخـــل: أثر الإسلام في الشعر الجاهلي:

1-مكانة الشعر في الجاهلية...02

2-أثر الإسلام في الشعر و موقفه منه...06

الفصل الأول: الشعر في بداية الدعوة الإسلامية:

1-موقف القرآن من الشعر...08

2-موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر...15

3-موقف الخلفاء الراشدون من الشعر...23

4-نظرة الشعراء إلى الإسلام...30

5-مفهوم شعر الدعوة المحمدية 33

6-خصائص شعر الدعوة المحمدية...34

الفصل الثاني: دور الشعر في نشر الدعوة الإسلامية:

1-الشعر وسيلة إعلامية...36

2-دور الشعر في التصدي لواقع الآفات و الخرافات و إبراز القيم الخلقية...41

3-المعاني القرآنية في شعر صدر الإسلام...44

4-دور الشعراء في التصدي للكفار و المشركين...50

5-دور الشعر في الفتوحات الإسلامية...54

الفصل الثالث:حسّان بن ثابت شاعر الدعوة الإسلامية:

❖ -حسان قبل الإسلام...62

-أغراض شعر حسان بن ثابت في الجاهلية...64

-وصف الخمر عند حسّان...69

❖ -حسّان بعد الإسلام و أثر القرآن في شعره...71

-أغراض شعر حسّان بن ثابت بعد إسلامه...72

-أثر القرآن في شعر حسّان بن ثابت.....78

5-منزلته.....80

-الخاتمة

-المصادر و المراجع

-فهرس الموضوعات.